السيد محمد كُريّم

دراما موسيقية

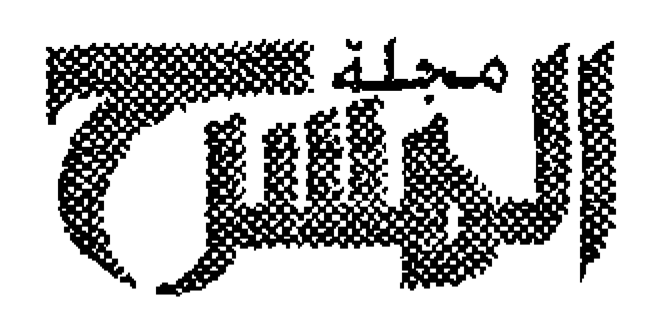


تأليف: كرم النجار

892
N1

مسرحية
(السيد محمد كُريّم)
دراما موسيقية

تأليف: كرم النجار



رئيس مجلس الإدارة

د. محمد صابر عرب

نائب رئيس مجلس الإدارة

حلمي النمنم

رئيس التحرير

د. محمد عناني

رئيس التحرير التنفيذي

د. أحمد سخسوخ

المدير الفني

محمود الهندي

مديرو التحرير

ياسر علام

يوسف شعبان مسلم

الإشراف الفني

علي أبوالخير

حسن كامل

الغلاف:

للفنان/ محمود الهندي

مسرحية

(السيد محمد كريم)

دراما موسيقية

الشخصيات

السيد محمد كُريّم: في صدر شبابه كان يعمل قبانيًا، يتمتع بخفة الحركة وحب الناس (كما قال عنه الجبرتي). ولما ولي من قبل الأتراك، وبفضل أصدقائه من المماليك أمور الثغر (أي الإسكندرية)، ومع بداية محنة الحملة الفرنسية، أراه قد تحول مع الأحداث إلى رجل شديد العمق، واسع الأفق، يجمع بين خيال الفنان وروح الثوري، وصلابة الفدائي وعناده. إنه (سوبر) رجل ذلك الذي يرفض أن يفتدي نفسه بالمال وهو يملك منه الكثير؛ لأنه أصبح يؤمن بالمبدأ. أراه أيضًا عميق الإيمان بالله.

سكرة: هي حياة الجنون، أو جنون الحياة. إنها عالمة، أو غازية بلغة عصرها. وكشأن أية غازية كان لها قصة احترافها الخاصة بها، والتي تتشابه مع معظم الغوازي في الإطار العام (القهر، الهرب، الاحتراف)، لكنها حين تلقى السيد محمد كُريّم، وتفاجأ بموقفه نحوها تقع في البداية تحت تأثير الانبهار بشخصه، ثم تتوهم حبه، ثم تؤمن بمبادئه في التحدي والعناد، ولكنها تصعق حين تصطدم برفضه دفع الفدية وهو يملك المال. وحين تعيها السبل في إقناعه وتوفير المال له، ترتد إلى مهنتها الأولى، ولكن بعد أن فقدت روح الغازية، وسيطر على عقلها معنى الفداء؛ ولهذا تفضل أن تعود إلى عالم الغوازي.

إنها هي أيضًا أسطورة، ولكن التاريخ غفل عن نوع عطائها في زمانها.

بستاني: صديق كان حميمًا لمحمد كُريّم، ولكن حين تحول كُريّم من الخفة إلى الجدة، لم يستطع أن يتحول مثله.

حين اكتشف كُريّم خدعة المماليك جاهر بعدائه لهم، لكن «بستاني» ظل على إيمانه بهم باعتبارهم أصحاب البلد وأصحاب الفضل.

صعد نجم كُريّم، ولكن «بستاني» ظل هو التابع. إن مأساة بستاني أنه حاول أن يقيم نفسه بالقياس لصديقه كُريّم، متغافلا أهم مباديء القياس، وهي وحدة المبدأ.

محارب: عامل، ثم شحاذ، ثم فدائي. إنه المصري حين يحاول أن يفهم. ويفهم ويدفع حياته ثمنًا لهذا الفهم. إنه الوجه البسيط الفطري من السيد محمد كُريّم.

بائع(١): رجال بسطاء من مصر يحملون متناقضات زمنهم، وعظمة مع أجدادهم.

بائع(٢): وعظمة مع أجدادهم.

نصوح باشا: تركي (صوته أجش في الغناء). (دائمًا يحاول أن يستفيد من كل ما حوله وبأيسر الطرق).

المملوك: إنه المثال للمثل المصري الشعبي (اتمسكن لما تتمكن).

نابليون بونابارت: الذكاء والغرور، المعادلة التي لا تكتمل أبدا إلا بفقدان أحد أطرافها. وقد خان بونابارت الذكاء حين قرر إعدام كُريّم والاستيلاء على أملاكه.

كليبين: من المؤكد أنه في بداية الحملة كان كليبر شخصية تابعة لنابليون بشكل عام. إنه الرجل الذي يؤدي المهمة بحرص شديد؛ إرضاءً لرئاسته، ولكنه لم يقع فيما وقع بستاني من مقارنة.

ديبوي: الشخص الذي حاكم السيد كُريّم. أرى قلبه وهو مفعم بالإيمان بما قاله كُريّم، ولكن وضعه العسكري لم يسمح له بأكثر مما فعل. إنه المنفذ؛ ولهذا فإن صوته محايد.

القائد: شخصية أيضًا من الشخصيات التي دائمًا ما يغفلها المؤرخون، ولكن الحقيقة أن التاريخ لا يمكن أن يسير بدون أمثال هذه النماذج، التي من فرط فراغها الداخلي ورغبتها المجنونة في أن تكون شيئًا، فهي بلا تفكير، تفعل أي شيء.

المترجم: بلا تعليق.

فانتور: كبير تراجمة الحملة الفرنسية. ودعونا نَرَ رجلاً يحتل بلدًا ويعرف لغة أهلها، أي يعرف أسلوب تفكيرهم.

من كورس العامة:

كورس الشحاذين

شحاذ(١):

شحاذ(٢):

شحاذ(٣):

الشيخ:

كتخداه: أيضًا واحد من كورس الشحاذين.

المنادي: واحد من كورس العامة.

حنا الأسيوطي: واحد من كورس العامة.

منصور: واحد من كورس العامة.

المعلم الجوهري: واحد من كورس العامة.

الفصل الأول

المنظر

[عمق المسرح البحر وأضواء المراكب البعيدة. وسور الميناء، ويمين العمق حتى المقدمة جزء خارجى من قلعة (قايتباي)، ويسار العمق يأتى سور الميناء، وميزان القباني، وفى المقدمة جزء من السوق. نحن الآن يوم وصول الحملة الفرنسية يوليو سنة ١٧٩٨م. ومحارب. شاب مميز فى ملابسه وماكياجه. يتحرك ليطلعنا على المكان والزمان غناءً]

محارب: (غناء بسيط يقود للفهم السريع أكثر من الطرب).

بلدي... بلد البجر المالح، والرملة الناعمة، والأساطير.
بلدى اللى جاها الإسكندر الأكبر وسماها على اسمه.
بلدى صاحبة أكبر مكتبة فى التاريخ.
اسكندرية. ماريا وترابها زعفران (بتأمل) النهاردة أيه جرالها (تتغير الموسيقى).

كورس العامة (عمال): (فى إيقاع جماعى وهم يحفرون أثاثات وهمية) حر... حر.. الدنيا حر.

كورس المماليك: (بالكرابيج) الشغل بهمة آمال... الشغل بهمة.

محارب: (يقترب من العمال والمماليك) الشمس حامية نار.. ارحمهم يا سيدى المملوك. ارحمهم.

المملوك: (يقرقع بالسوط فى الهواء) صوص مصرى خرسيس.. هم الشغل آمال. الشغل بهمة.

كورس العمال: حر. حر. الدنيا حر.

(تزيد قرقعة الكرابيج)

[يُطفأ على العمال ليضاء على مجموعة بنات أجنبيات، ومعهم شبان فى ملابس تناسب عصر ما قبل الحملة الفرنسية].

كورس الخواجات (نسائي): (بالغناء بإيقاع غربى قديم) ترى شو.

كورس الخواجات (رجالي): (بالغناء الراقص) ترى شو. ترى شو

Mais la mair treo tranqil

(حر جدًا. حر جدًا. لكن البحر هادىء)

كورس الخواجات (نسائي): Eest gallie (وجميل)

كورس الخواجات (رجالي): (بالفرنسية مع حركة راقصة جماعية للذهاب ناحية البحر، وهم يتخففون من بعض ملابسهم) (بالفرنسية بما معناه) هيا بنا للبحر الهادى الجميل...، والرمل الناعم الرقيق؛ لنستمتع بيوم صيفى جميل.

شباب المصريين: (يجرون) واحنا كمان بينا للبحر [تختفى المجموعة ناحية البحر. ليضاء على محارب فى السوق بالقرب من نصوح باشا، الذى يحمله المصريون الفقراء، وحوله المماليك يهشون الناس].

محارب: مش عارف إيه اللى قابض قلبي. برضه خايف.

كورس المماليك: أوعى يا مصرى أوعى. مندوب الباب العالى معدي. أوعى. أوعى. أوعى

نصوح: (يظهر بوجهه من على الحمالة) أوف. الدنيا حر.

كورس المماليك: ياللا يا مصرى انت وهوه بسرعة مراوح لمندوب الباب العالى ولى نعمنا... هوى يا مصري. هوى. هوى.

كورس العامة: (بحركة التهوية المغيظة) هه. هه... هه.

نصوح: (يشير لسكرة حين تظهر فى دلالها) سكرة. أنت. تعالى بنت غازية.

سكرة: ودا وقته يا باشا. الدنيا حرّ. حر. أما بقى نزل إيدك أحسن هه (تنحنى على الشبشب فى قدمها – يُحرج الباشا)

كورس العامة: (فى تشكيلات جماعية راقصة) حرّ. حرّ.

محارب: اللى قابض قلبى دا بسبب الحرّ... ولا خوف من مجهول ها يحصل.

كورس العامة: مجهول إيه يا محارب... ما كل شيء معلوم فى اسكندرية.

أحدهم: إن كان على أسيادنا الأتراك. أهم لسه متنعمين.

الآخر: وأسيادنا المماليك أهم عارفين يسخرونا لخدمتهم.

كورس الغوازي: حتى الخواجات البلدي. عارفين يعيشوا ويتمتعوا، وفى قلب مية المالح يعوموا ويبلبطوا.

سكرة: واحنا ليه لأ يا اسكندرية (بالصاجات) هو احنا كخة؟

محارب: اسكندرية النهاردة حرّ؟ ولا شر، ومن (يشير إلى البحر) الناحية دى جاي؟

كورس العامة: هو بعد الحر دا كله يبقى فيه قيمة لأى شر؟

محارب: (بحزن) خايف. خايف عليك يا اسكندرية.. خايف وحزين حزن الموت.

الأتراك: نصوح: مصرى صوص خرسيس... ورث الحزن من أجداده الفراعين... مصرى صوص خرسيس مش أعرف أفرح.

كورس العامة: وإزاى نعرف نفرح.. أصل النهاردة حرّ.. حرّ.

محارب: لأ. شر. شر جاي. وافتكروني...

العمال: طب سيب أمارة.

محارب: احنا فى شهر محرم سنة ألف وميتين وتلاتاشر من الهجرة.

النجار: لأ فى شهر يوليو سنة ألف وسبعمية وثمانية وتسعين.

الخواجات: لأ. دا شهر ميسدور من السنة السامة...

الفتيات: حسب التقويم الفرنسى القديم.

محارب: أديكو عرفتوا تاريخ النهاردة بكل التواريخ واحسبوه علىّ... إن ما كان اليوم دا هايغرق فى تاريخ اسكندرية.

سكرة: ياما تواريخ ياما سنين – حرّ وبرد ومطر وزعابيب. وأدينا عايشين.

محارب: بس النهاردة يعرف تاني... ها يفرق فيكى يا اسكندرية.

[موسيقى لأصوات الخطر القادم من المينا تطغى على كل شيء. أضواء مراكب عملاقة تقترب. الناس يتركون ما فى أيديهم، ويسرعون فى تشكيلات فضول ناحية الميناء]

صوت: (يصيح فى الفراغ) مسيو نابليون بونابارته. طالب الإذن برسو عبارته على المينا.. علشان يحوش عنكم خطر الأسطول الإنجليزى (يتكرر الصوت).

[يضاء على كُريّم يلتفت من ناحية الميزان]

كُريّم: وأنا قلت لأ... لأ... مش هاترسى مراكب على شط اسكندرية. طول ما أنا عايش.

صوت: مين ده؟

محارب: دا السيد محمد كُريّم.

الصوت: مين السيد محمد كُريّم؟

الصوت: مين كُريّم؟

محارب: زينة شباب اسكندرية.. فى الخفة ما لوش زي.. لكن ساعة الجد.. يا حفيظ يا حفيظ..

(يضاء على كُريّم.. يلتفت بحدة إلى المملوك المتعجرف الذى يقف بجوار الميزان)

كُريّم: (بعنف غاضب) حاجتين فى الدنيا ما اعملهمش ولو على رقبتى.. الغش فى الميزان وغش الأصحاب.. (ثم مبتسمًا) وكده خلص الكلام..

بستاني: (يدخل له) عندك يا كُريّم وبلاش تناطح المماليك..

كُريّم: (لبستاني) عاوزنى أغش فى الميزان، وأقول إنه ما دخلش غير بحمل واحد.. وأديك شايف أحماله قد أيه؟ (ينادي) معلم جرجس يا كاتب الحسابات.. بص لميزانى واحسب وحصل.

المملوك: (لكُريّم) مش هادفع مصرى خرسيس.

كُريّم: (بغضب يمسكه من يده) امسك لسانك يا مملوك، واعرف أن شغلى مع صالح بك ذات نفسه، وياورد الإيراد لمراد بك (ثم باحتداد متهكم) هه.. هاتدفع ولا أقول لمراد بك إن مملوك عند عثمان بك رفض يدفع؟

المملوك: (بخوف) تقول لمراد بك؟ مراد بك لا.. أنا أدفع.. أدفع.

كُريّم: (ينظر إليه. يضحك ضحكة متدرجة) ها ها..

(ثم ينظر إلى الكاتب) معلم جرجس.. حصل منه وخلص حساباتك.. أنا رايح أسهر مع صالح بك ورجالته.

بستاني: تاخدنى معاك؟

كُريّم: (بعد لحظة تفكير خاطف) تعالى يا بستاني..

(يهمان بالخروج.. يصطدم كُريّم بمونيك ومحارب.. يعجب بها)

كُريّم: (بإعجاب شعبي) ودى مين يا محارب؟

مونيك: مونيك (تحييه بنصف انحناءة أرستقراطية)

كُريّم: (مازحًا) Parlez vous francais (هل تتكلمين الفرنسية.. بمزاح).

مونيك: (تضحك)، ثم بالفرنسية (أنا أتكلم الفرنسية وأنت؟)

كُريّم: (بالفرنسية ضاحكًا) أنا لا أتكلم الفرنسية.. (يضحك، ثم بالعربي) تحبى تسهرى معايا؟

مونيك: (فى فرحة عارمة) يا ريت مسيو كُريّم..

كُريّم: تعالي..

بستاني: ودى كمان هاتسهرها مع المماليك إزاي؟ بطل جنون بقى..

كُريّم: (يضحك بفحولة ويمسك مونيك من ذراعها كشأن الخواجات)

(تُطفأ الإضاءة على محارب، وتضاء بالتدريج على مقهى مستواه الأرضى شعبى وتتركز عليه الإضاءة.. الآن غازية ترقص فى الدور الثاني.. مماليك وأتراك وخواجات بلدى ولا نراهم الآن).

(كُريّم ومعه بستانى يدخلان المستوى الشعبى حيث الغازية ترقص.. كُريّم يحيى الناس بيده فيردون تحيته.. تعجبه الراقصة، ويدور حولها..، ثم يسرع إلى النصبة فى المقهي، ويأخذ جملة من السكاكين)

كُريَم: كله سمع هس.. رقصنى يا جدع.. (يشير للموسيقى بالتوقف، ومونيك ومحارب يرقبان هذا)

الموسيقي: (بخوف) ما اقدرش جناب البك فوق طالب رقص الغوازي.(يتوتر الموقف.. يتحقق الناس حول كُريّم، وهم شاخصون ناحية المستوى العلوي)

كُريَم: (يكسر الصمت بذكاء) خبر أيه يا مزيكاتي.. خايف من صالح بك ليه؟ صالح بيه راجل صالح وما بيخوفش.. هو جاى يقضى ليلة مزجانجية.. الغازية مزجته؟ تمام.. كُريّم عمل اللالى عشان يبسطه.. وها يبقى آخر مزاج؟ يبقى تمام التمام.. (ثم يلتفت إلى المستوى الأعلى) صح يا صالح بك.(وقبل أن يرد) رقصنى يا مزيكاتي..

(الموسيقى يترك آلته، وينظر إلى المستوى العلوى الذي لا نرى تفاصيله الآن، ولكنا نسمع صوتًا)

ص. صالح: (بلكنة غربية) صوص مزيكاتى.

ولد كُريّم: إذا أنت مش أعرف مزج جنابنا يبقى سكتر من الميناء.. وأنت مش تبقى قبانى وتصير شحات..

(جملة موسيقية مخوفة، وردود أفعال قلق على بستانى والناس)

كُريَم: وإذا أنا اتمزجت ورقصت بمعننة.. ومزجت جنابك.. أخذ أيه؟

بستاني: (فى فزع هامس) أنت اتجننت. بتشرط على صالح بك المملوك؟

كُريَم: (لبستاني) اسكت أنت.. (يصيح فى اتجاه العمق) ما سمعتش رد يا جناب مملوك ولى النعم؟

ص. صالح: ها ها.. هانشوف.. هانشوف بعدين..

(يصيح) مزيكاتى.. معنن ولد كُريّم.. خليه يورينا..

(تعزف الموسيقى رقصة السكاكين.. مونيك تدخل تجاه النور بحذر.. وكُريّم يرقص باندماج تدريجي.. إنها حالة نفسية يعبر عنها بالرقص.. تتمثل فى الإحساس بالولاء تجاه المملوك، ثم ينقلب الإحساس إلى غيظ من تجبره.. ثم إخراج شحنة الغيظ بشكل القتل.. مونيك تنساق لهذه الرقصة.. تشترك فيها على أنها المعتدي، ولكن كُريّم يعرف كيف يدافع عن نفسه ويهزمها فى النهاية)

(رواد المكان ينسون المملوك ويفقدون حذرهم بالتدريج فى عنف رقصة كُريّم ومشاركته بإيقاع تصفيقى متصاعد حتى نهاية الرقصة.. تصفيق.. وكُريّم ينسى المملوك ويحيى من صفقوا له)

مونيك: (بالفرنسية) أنت رجل رائع مسيو كُريّم..

ص. صالح: (بصياح وتصفيق) عفارم ولد كُريّم.. أنت والبنت خوجاتي.. عفارم..

(يضاء على المستوى العلوى فيظهر الملوك صالح فى أبهته الكاملة، وحوله حراسه وطواشيه وبعض الأعيان.. يقف ثملاً ويهم بنزول السلم. يسرع إليه حراسه وطواشيه لمساعدته،، تفهم مونيك فتنسحب من النور،، صلاح يشير لهم (حراسه) بالتوقف فى أماكنهم وينزل وحده منشيًا،، يتوقف فى المستوى الأسفل.. يتلفت إلى مونيك التى تتسلل خارجة) (بعض الرواد يخفون ضحكة تهكم)

محارب: (منفلتًا) البت زاغت..

أصوات: (ضحك حذر)

صالح: (يدارى حرجه بالتوجه إلى كُريّم) كُريّم أنت ولد غريب عجيب.. كُريّم فى شغلك جد وزى السيف..، وفى لعبك واد خلبوص.. معجون بمية عفاريت..، (يصيح وهو يلقى دنانير على رأس كُريّم) رقص ولد رقص..، يعود الموسيقى برقصة السكاكين، ويحاول صالح تقليد كُريّم وهو يلقى الدنانير الفضية والناس يصفقون بإيقاع).

كُريّم: (لنفسه بوجوم) ده اللى بتحلم بيه يا كُريّم.. أخرتها النقطة ترف على رأسك زى الغوازي؟

(فجأة ينتصب كُريّم مشيرًا للموسيقى بالتوقف، يدهش الجميع بمن فيهم صالح)

كُريّم: لا يا جناب صالح بك.. لا يا جنابو.. إن كان على المال عندى منه والحمد لله كتير.. (ثم مستدركًا) ودا من فضلة خيركم.. لا يا جنابو.. غيرى أولى بالمال ده.. (يصيح) محارب (يشير للدنانير) لمهم يا محارب ووزعهم صدقة على الفقرا.. باسم جناب المملوك الأعظم صالح بك..

(محارب يلم المال بسرعة).

صالح: (فى دهشة شديدة) لو مش عاوز دنانير.. تبقى عاوز أيه؟

كُريّم: (فى استعداد نفسى خاص) أريد أن أعلو بالمنصب.. شبعت من شغلة قبانى المينا.

صالح: (غاضبًا ويصياح) صوص ولد. مصرى خرسيس ما ينفع يمسك منصب.

كُريّم: (بقوة روحية خاصة) حد ظابط قبانية المينا زيي؟ حد بيجيب مال من التجار الخواجات قدي؟

(ثم بتلميح وهو يمسك سكينًا) حد بيرقص السكاكين غيري؟

(صالح بخوف خفيف.. يهم بالصعود)

صالح: المناصب دى مش شغلي.. دا عاوز مراد بك شخصيًا.

(وقبل أن يتم صعود صالح درج السلم.. فجأة يظهر من يقتحم المكان وفى يده سكين، ويجرى فى اتجاه ظهر مراد بك ويهم بقتله..، وقبل أن يتحرك الحراس يكون كُريّم قد حال بيده دون ذلك.. يتسمر الجميع.

صالح: (يستدير فى رعب) دى عاوز يقتلني.. اقتلوه.

(يهم الحراس بالنزول، لكن كُريّم يسبقهم بالإمساك بالرجل، ويقتاده إلى مقدمة المسرح)

كُريّم: (ويأقصى حدود الجدية) بعد إذن جناب صالح.. القتل جريمة خطيرة.. وقتل مرتكبها بيقتل السر معاه.. وإحنا لازم نعرف.. لماذا يقتل القاتل؟ (للرجل بعنف).

صالح: مش مهم سبب.. دى لازم يموت.

كُريّم: (بذكاء) سيبنى أقرره.. كنت عاوز تقتل مولاى صالح بك ليه؟ أيه السبب؟

الرجل: أعوانه خطفوا بنتي.. قمر زمانها، وعاوزين يقدموها لصالح بك محظية..

(صارخًا) وأنا بنتى حرة.. وبنت أحرار.

(كُريّم يجذب الرجل بعيدًا عن صالح وحراسه وأعوانه بعنف)

كُريّم: (بصياح وجلبة) الإيد اللى تطاول على أسيادها لازمها القطع.

الرجل: (فى ذهول) أنت اللى بتقول الكلام ده يا سيد كُريّم..

كُريّم: (بهمس) لما أعمل أنى باضربك أصرخ وقول أي..

صالح: سيبه للحراس..

(كُريّم يتظاهر بالقسوة عليه.. يجره على الأرض)

كُريّم: (بمبالغة) لأ.. ولا يمكن واحد مصرى يقدر يتجاسر ويمد إيده علي الأسياد فى حضوري.. أنا اللى أولى بدمه.

(يتظاهر بضربه)

الرجل: (يصرخ بعنف) آه.. أي.. ارحمني.(وهو يتظاهر بضربه)

كُريّم: (يصيح) كل صنف مصرى موجود هنا يجيني.

(يسرع الرواد بالتحلق حول كُريّم والرجل)

صالح: هاتعمل أيه؟

كُريّم: سيبنى آخذ حق صالح بك ولى نعمتي.، ارجع مكانك وراقبني.، شوف إزاى هاخد حقك.

(يعود صالح إلى المستوى العلوى مأخوذًا.. وحوله أعاونه فى ضيق، وكلما هموا بالانفلات أشار لهم بالبقاء فى أماكنهم والمراقبة)

كُريّم: (بهمس وسرعة) محارب خد ستْ أبوها البلانة ونسوانها وجرى على بيت صالح بك.. تنطوا من السور الورانى هاتبقوا قدام الحرملك.. هايجروا الطواشى عليهم.. خليهم يصوتوا ويلموا الدنيا.. تجرى أنت واللى معاك على جوه.. تخلص قمر زمانها وتجرى بيها من الزقاق على بحرى عدل وسلمها لحريمي.. وأنا هاتصرف فى الباقي.

(ثم بصياح) فهمت هاتعمل أيه فى الراجل النجس ده يا محارب؟

محارب: هانركبه حمار بالمقلوب، وهانعمله جرسة من هنا لحد بوصير، وندبحه قدام أهله.

كُريّم: وتجيبولى راسه متخوزقة على خازوق افرنجي.

الرجل: حرام.. حرام.. دا كله حرام.. يخطفوا بنتى ويقتلوني.. حرام.. حرام.

صالح: (يضحك بعمق) عفارم سيد كُريّم.. عفارم.. إنت كل يوم بتثبت ولاءك لينا.. عفارم.

(يجرونه ويخرجون.. تضيق الإضاءة بهدوء على كُريّم المهموم، وبستانى الذى أصابه الذهول)

بستاني: كُريّم.. فوق يا كُريّم.. أنت قد المماليك علشان تلاعبهم؟ هاتقدر ما تقتلش الراجل وتحط راسه على خازوق وتقدمه له؟ تقدر؟

كُريَم: روح للخواجة كلود الفرنساوي.

بستاني: اللى بيعمل استغفر الله تماثيل لوشوش الخواجات من جنسه؟

كُريَم: خليه يعمل تمثال لوش الراجل ويغرقه بالدم.. وأنا هادفعله.

بستاني: ولما يعرف صالح بك إن قمر زمانها اتاخدت من قصره؟

كُريَم: أنا اللى خدتها.

بستاني: أنت مجنون؟

كُريَم: عرفت إن عندها داء الطاعون.. كان لازم أنقذ حريمه منها.

بستاني: وليه ده كله؟ لو لعبتك انكشفت صالح بك هايقتلك عشر مرات.. عشرين.. ألف.

كُريَم: تصدق إنى ساعات ما بخافش من الموت.

بستاني: فيه حد ما بيخافش من الموت؟

كُريَم: إذا كنا بنخاف من الموت علشان نعيش.. يبقى لازم عيشتنا تكون بكرامة.. وخطف قمر زمانها وتقديمها محظية وجعنى قوي.. قوى تمام زى خنجر اترشق فى قلبي.

بستاني: وأنت مالك؟ هيه كانت بنتك؟

كُريَم: وافرض حصل ده لبنتى؟

بستاني: وليه تفترض الوحش.. أنت محبوب من المماليك وبعيد عن شرهم.. تدخل نفسك دايرة نارهم ليه؟

كُريَم: (يفيق من اكتئابه) مش عارف.. مش عارف يا بستاني.. ساعات باحس إنى مقسوم نصين.. نص أنانى بيحلم بالمجد لنفسه حتى لو غرق البر كله.. والنص التانى بيشدنى للناس اللى أنا منهم.. وباحس إنى مسئول عنهم.

بستاني: دا غرور؟

كُريَم: (بتأمل) تفتكر؟

(يطفأ على المستوى الذى به كُريّم وبستانى ليضاء بالتبادل مع جزء من قصر نصوح باشا، لنرى صالح بك وإبراهيم بك ونصوح باشا وخدمًا يقدمون لهم القهوة ومعهم كاتب)

مراد بك: وصل رسول من مالطة بيقول إن الفرنساويين هاييجوا مصر من طريق البحر.

صالح: ما يقدروش على أسطول الباب العالى فى اسكندرية.

نصوح: (بوقار شديد وصوته المميز) يبقى أمامنا أمر ديوان الجمارة والثغر.. مراد بك.. أنت رشح مين من المماليك لهذا المنصب الرفيع؟ جمارك أهم لبيت المال فى مصر.

مراد بك: لديّ فكرة مجنونة.

نصوح: (بتململ) نسمع..

مراد بك: لماذا لا يكون أمر ديوان الجمارك والثغر بيد واحد من الفلاحين المصريين؟

نصوح: (يضحك ضحكة متصاعدة متهكمة) ها. ها ها.. هاهاها..

مراد بك: لماذا يكون أمر الجباية مركزًا فى يد المماليك مما يستجلب كره العامة لنا.. بل القيام علينا كلما حانت الفرصة.. فإذا تركنا لهم واحد من بنى جلدتهم ثاروا عليه.. والتجئوا إلينا بالشكوى، فنبقى الأسياد فى عيونهم.

نصوح: فكرة عظيمة مراد بك.. لكن السؤال.. هل يوجد مصرى له عقل يدبر الأمور؟

صالح: أنا أعرف واحد منهم قمة فى الولاء والذكاء، واستطاع أن يستجلب حواشى الدولة من تجار مسلمين ونصارى فأحبه الناس واشتهر اسمه.

نصوح: ومن يكون؟

صالح: السيد محمد كُريَم.

مراد بك: قبانى الميناء؟ أوافق.

(ضربة موسيقية.. مع إطفاء الإضاءة عليهم دفعة واحدة، لتضاء بالتدريج على الساحة العامة، وهى فراغ بلا معالم غير سور القلعة [قلعة قايتباى] فى عمق المسرح)

(يسمع صوت عزف طبلة المنادي.. يلتفت الجميع فى اتجاه الصوت.. يظهر المنادى وخلفه الفقراء)

المنادي: بشرى.. بشرى.. بشرى..

(ثم بالغناء) إلى أهالى الإسكندرية الكرام..

قرر السيد محمد كُريّم الهمام..

توزيع الهبات والأموال..

على جميع صنف فقير..

وكمان أهل السبيل..

كورس الفقراء: هيه.. هيه..

محارب: والمناسبة أيه؟

المنادي: تعيين السيد محمد كُريّم، على اسكندرية حاكم ومعلم.

كورس الفقراء: هيه.. هيه..

(تنشط الحركة على المسرح.. يجرى الناس خلف المنادي)

محارب: (صارخًا) فين النقرزان؟

(يظهر النقرزان وبعض أهل الملاعب، يتقدمهم محارب يلعب بالسكاكين فى الرقصة المشهورة.، تدريجيًا يتسلل العمال بحركات كوميدية من المماليك ويجرون خلف محارب)

محارب: كُريّم يا حاكمنا.. يا أغلى الناس

سبنا علشانك.. حالنا ومالنا

وجينا لك.. نغنى ونقولك

مبروك

كورس العمال: مبروك.... مبروك

محارب: يا حاكمنا... يا أغلى الناس.

(مع خروجهم إظلام تدريجي.. ليضاء بالتدريج نفسه على جزء من قصر كُريّم.. وكُريّم فى ملابس فاخرة وهو يبارز شخصًا.. كُريّم فى نشوة ينتصر على خصمه، مع بقاء الأصوات فى الخلفية)

كُريّم: هل من مبارز؟

(يدخل إليه بستاني)

(يتبارز الاثنان، كُريّم بنبالة وبستانى يحاول أن يهزمه بكل الحيل.. وباقى الأصدقاء ينقسمون إلى مجموعتين كل منهما تشجع واحدًا..، يقع كُريّم، وينتصر بستاني..، يضع السيف ،على رقبته..، التوتر يسود الجميع)

الأصدقاء: قوم يا كُريّم.. قوم يا كُريّم.

بستاني: (يمعن فى وضع السيف على رقبته ويغضب)

ليه عاوزين الدنيا تديه كل حاجة؟

(ثم لكُريّم) بقيت الحاكم.. عاوز كمان تبقى الغالب؟

(بحركة بارعة من كُريّم ينتصب واقفًا. يبارز بنشاط ونبالة. يقع بستاني)

بستاني: (يخاف) لأ ما تقتلنيش أنا فى عرضك.

كُريّم: (يلقى بالسيف) تتشل إيدى وأقطعها إن مست شعرة من راسك يا صديق عمرى.

(يمد يده لينهض) قوم يا بستاني.

(ينهض بستاني، وبنفسية خاصة يعانق كُريّم الذى يستسلم لهذا العناق، ولكنّ بوجهه حزنًا وعمقًا)

كُريّم: (بسخرية وعمق) هاتف دايمًا يجينى فى منامى نهايتى هاتكون على إيدك يا بستاني. (ثم يضحك)

بستاني: (ينتفض بمبالغة) أنا؟

كُريّم: خدتها جد ليه؟ إحنا بنلعب.

بستاني: (بحرقة مبالغة) أصلي ما ليش في الدنيا دي أي صديق تاني غيرك يا كُريّم.

(يعانق كُريّم برجولة...، تزحف أصوات الناس لتتضح بالتدريج بالغناء نفسه).

واحد: (وهو ينظر من النافذة) يا سيدَ كُريّم الحقنا.. تعالى قوام.. الناس واقفين على باب قصرك ميات.. ميات.

كُريّم: (بأمر وفروسية) أدوهم كل واحد منهم ريال.

(يتحرك التابع.. يفزع بستاني)

بستاني: خايف على مالك يضيع.

كُريّم: ما تخافش.. مالي كتير، ولسه هايزيد.

(ثم يصيح بنشوة)، وكمان المناسبة تستاهل.

(لبستاني) بقى أنت يا صديق عمري، تصدق إن كُريّم بقى حاكم.. بس يا رب يكون حاكم مجدع.

(يرتفع التهليل والغناء من الخارج)

الكورس: مبروك... مبروك

يا حاكمنا يا أغنى الناس

كُريّم: (ملتفتًا إلى أتباعه) فين الهبات؟

التابع: جاهزة يا مولاي.. خد.

(يزيد شعار التهليل حين يهم كُريّم بإلقائها عليهم)

أصوات الكورس: أنا... وأنا... وأنا (صراخ) أنا...

كُريّم: (يلتفت إلى بستاني) لو حدفت عليهم الريالات هايفوز بيها القوي.. والضعيف هاينداس تحت الرجلين ومش هايطول حاجة.

(ثم لنفسه بضيق) هذا ظلم... مش عدل.

بستاني: (متهكمًا) دا قانون الملك والصولجان.. الحاكم يرمى على هواه، والمحكوم الشاطر يعرف يلقفها.. لواحده حتى لو داس على رقاب العباد.

كُريّم: (بحدة) دا ظلم.

بستاني: (بسرعة) طب ورينا العدل يبقى إزاي؟

(يزيد صوت الناس مجرد اقتراب كُريّم من النافذة)

كُريّم: (يتجه إلى النافذة) كل الناس تقف طابور، والحراس هايخدوا الأسماء.. كل واحد يسمع اسمه يتقدم وياخد حقه من سكات.

(تهدأ الأصوات فى الخارج بالتدريج، والتابع ياخذ المال وينزل)

بستاني: (يعترض حركة كُريّم) معقول دا كله يطلع منك يا كُريّم؟ أنت صحيح بقيت حاكم؟ وبدأت تفكر فى مصالح الناس؟

كُريّم: (يفيق وكأنه كان فى حلم) هه.. أبدًا والله ما اتعمدت التفكير.

بستاني: (يعترضه مرة أخرى) صديق عمري، هاسألك آخر سؤال.. اشمعنى أنت من دون المصريين اللى وقع عليك الاختيار وعملوك حاكم؟

كُريّم: (يقترب منه) من غير ما تحسبها كتير.. اللى نابنى هاينوبك من غير تأخير.. بس أنت ورى المماليك الهمة.

بستاني: (يفرح نسبيًا) إحنا حقيقى أصدقاء.

كُريّم: وهانفضل أصدقاء.

بستانى وكُريّم: مهما يحصل لأى واحد مننا.

(إظلام سريع على هذا الجزء من قصر كُريّم ليضاء بالسرعة نفسها على جزء من قصر نصوح باشا وهو أكثر فخامة.. نصوح جالسًا ببدانته وصوته الأجش، يرفع وجهه ويغني).

نصوح: نحن نصوح باشا العظيم.. نعزم كل الباشوات..والباكوات..
والأغوات.. وكل أفندية..
ومسيو مجلون قنصل فرنسيس.. فى عموم اسكندرية..
(تتسع دائرة النور ليظهر بستانى فى أدب)
نصوح: بستاني.بان جى دا جيم.. بان جى دا جيم.. حفلة ولا كل الحفلات.. خلى ليلى يبقى نهار.
بستاني: (يهم بالحركة ناحية ستارة)
اتفضل شرّف وانت تشوف.
(يزيح الستارة.. نرى جوارى فى أوضاع مختلفة.. يمر عليهم نصوح فى أسف.، ثم يلتفت إلى بستاني)
نصوح: أنا مش ممنون بستاني.
بان جى ديم شيء تاني.. نحن عاوز غوازى (يفرقع بأصابعه مثل الغوازي) عوالم بستاني.
نصوح: بس.. مش أى غوازي.. بان دى دا جيم سكرة بنت القرداتي.
بستاني: (يصيح فى تعجب) كل الرجال والأعوان ينادوا على طول فى الحال سكرة بنت القرداتي.
(يخرج بستاني.. يظلم بالتدريج على نصوح الذى يهيم بطريقته الكاركاتورية فى حب سكرة، أو فى الرغبة فيها)
(يضاء على كوخ حقير بالمستوى الأرضى مزدحمًا بأشباه الأشياء.. حصيرة ممزقة على الأرض.، وسادة قذرة.، مصباح مكسور.، بريل وعلى خوافه ملابس سكرة.، حبل غسيل.، السقف منخفض، والجدران من جريد النخل والبوص وبعض القش والصفيح القديم.، تستمر الأصوات

في النداء حتى يضاء على الكوخ، ولا نرى فيه أحدًا في البداية)

الأعوان: سكرة بنت القرداتي.. سكرة يا سكرة.. أنت فين يا سكرة؟

محارب: (بالغناء) مرزوعة في العشة دا هية..

م الصبح لحد العصرية..

وبعد المغربية تتزوق وتلبس وتخرج..

(بتهكم) وتدور على رزقها..

بستاني: (قبل أن نراه) فين الباب؟

محارب: (صوت عجوز) أهه قدام.

بستاني: خبطوا على الباب.

(أصوات طرق لها إيقاع)

محارب: ها ها.. ها ها.. ها ها.. ما الباب مفتوح.

(يدخل بستاني من باب ليس له شكل الباب..، يندفع من خلفه الأعوان، وفي أيديهم فوانيس تزيد الإضاءة)

الأعوان: سكرة.. يا سكرة.. أنت فين يا سكرة؟

سكرة: يا خراشي.. يا خرابي..

بستاني: سمعتوا الصوت؟

الأعوان: (جميعهم بتأكيد) أيوه سمعناه.

بستاني: (يلتفت في كل الأرجاء) اظهري وباني عليك الأمان.

ص. سكرة: مش قبل ما أعرف أنتوا مين؟

الأعوان: الأول نعرف أنت فين.

ص. سكرة: أنا في البرميل.

الأعوان: (بدهشة) في البرميل؟ في البرميل؟

بستاني: دا أمر عجيب.

(يجري الأعوان إلى البرميل رافعين الفوانيس، وينظرون بداخله.. تظهر سكرة، وشعرها مبتل، وملابسها مبتلة..، يدهش الجميع)

سكرة: (بسوقية) أيه.. عاوزين أيه؟

بستاني: كنت بتعملى أيه جوه البرميل؟

سكرة: باستخبى من اللى ما يتسموا جند الأتراك.

بستاني: وهدومك ليه مبلولة؟

سكرة: (تخرج من البرميل) قلت استنهزها فرصة واستحمي.

الأعوان: بهدومك؟

سكرة: أنا حرة.. عاوزين أيه؟

بستاني: (للأعوان) سيبوا الفوانيس.

(ثم يهمس) واستنونى على باب الدار، وواحد منكم يجرى قوام ويقول احنا لقينا العنوان.

(يضع الأعوان الفوانيس ويخرجون، وبستانى يتقزز من الرائحة حوله)

بستاني: الريحة هاتخنقني..

سكرة: خلصنى وقول.. المطلوب أيه؟

بستاني: تغيرى الهدوم وتيجى حالاً ويايا لقصر الباشا.

سكرة: يبقى خلاص فهمت أنت قصدك على مين. (تضحك) الباشا نصوح (تضحك بخلاعة) وأنا بقى مش هاروحله، لكن هو اللى هايجينى بذات نفسه.

بستاني: عاوزة أيه علشان تروحيله؟ خدى (يخرج نقودًا) آدى عشره ريال.

(تأخذ النقود وتجرى إلى الداخل. يشعر بستانى بالارتياح)

بستاني: بسرعة قوام.. غيرى هدومك واتزينى على سنجة عشرة.. خلينا بقى ننتهز الفرصة.

ص. سكرة: إنت جديد فى الكار؟

بستاني: (وقد فوجيء) كار؟ أى كار؟

ص. سكرة: (من الخارج) كار اللى ميتسموا القوادين.

بستاني: أنا قواد؟ (ثم بحقد وغيظ) أنا قواد؟

(يهدأ بستانى قليلاً. يتجول مصطدمًا بكل ما يصادفه
ذاهلاً.. ومع الموسيقى)

بستاني: (بحزن لنفسه) لها حق تتمسخر على.. أنا اللى جيت للنار
برجليه.. معلهش.. علشان الورد يتسقى العليق.
(يتغير الإحساس) يا ترى أيه نوع خدمات كُريّم
للترك والمماليك؟ أكيد كانت من النوع ده؟
بس يا ترى مكافأتى المرة دى هاتبقى أيه؟
حاكم زى كُريّم؟ يمكن..
(فجأة يقتحم المسرح أحد الأعوان فيصطدم
بشيء.. يقع محدثًا صوتًا)

ص. سكرة: (من الخارج) مين اللى جاني؟
(أحد الأعوان يهمس فى أذن بستانى ويخرج بسرعة..
بستانى يعدل هندامه)

بستاني: (بلهفة) ياللا بسرعة حالاً شهلى يا سكرة.. جناب الباشا
على وصول.. هوه بذات نفسه.. ياللا اطلعى بقى.
(تخرج سكرة فى زينة مختلفة، ولكنها زينة
فاضحة، وملابس ليست بالثراء المطلوب، ولكنها
ملابس الغوازى بحالة الرقص)

سكرة: مش قلتلك.. هو اللى هاييجي، ويبوس رجليه؟

بستاني: (وهو يتلفت إلى الخارج) أموت وأعرف عملتيله أيه؟ إزاى
للدرجة دى يعوزك؟

سكرة: فى قانون الرجالة اللى زى الترك والمماليك وصنف راجل
بريالة لازم تضرب بالقباقيب.

بستاني: القباقيب؟

(يدخل الباشا مندفعًا. يتوقف حين يرى سكرة. يقف مبهورًا بها.
بستانى ينتابه حرج شديد)

نصوح: (وهو لا يلحظ وجود بستاني)
(ثم لسكرة) أنا زعلان سكرة (يهم بها) أنا أجى
لك..

سكرة: (بدلال خاصمًا) قبل ما تيجى اليمة دي، شوف الواقف اليمة دكهه، واقضيله طلباته، واللا.. ما لكش عندى ولا أى اعتبار.

نصوح: (بسرعة) بستانى (يلقى له صرة نقود) خد بستاني.. ياللا سكتر بسرعة، قوام.

(ثم لسكرة بالغناء) ليه الجفا.. ليه البعاد.

سكرة: (تخلع القبقاب) قوام ما اشتقت لضرب القبقاب؟!

نصوح: أحب منك أى هباب.. أفندم.

(سكرة تضربه وتركله وتدفعه على الأرض، ونصوح يضحك مستمتعًا بكل هذا. ينحنى على هيئة حمار. تركبه سكرة وفى يدها القبقاب)

سكرة: شى.. حا.. يا حمار.

نصوح: كمان.. كمان سكرة.. ها ها.

(تنسحب الإضاءة بالتدريج)

(يُضاء على جزء من قلعة قايتباي.. كُريّم وقد أصبح فى ملابس الحاكم وهيبته، وحوله الأعوان تقف على جزء من سور القلعة ويراقب البحر. موسيقى خطر زاحف من بعيد، يصل إليه الرسول.

صوت ١: (بنداء) أسطول الإنجليز وصل المينا.

صوت ٢:وقائد الأسطول نزلك عشرة فى قابين.. نلسن بيتر جاك تقابلهم..

كُريّم: ياعنى أيه قابين؟

صوت ٢: مركب صغير، وفيه عشرة من طرفه، واحد منهم بيعرف عربي.

كُريّم: ابعتهولي.

(يصل الرسول الإنجليزى وخلفه تسعة قواد إنجليز)

كُريّم: وماذا تريدون؟

الرسول: تصرح للأسطول الإنجليزى بالبقاء فى الميناء من أجل التفتيش على أسطول فرنسيس.

كُريّم: (دون تردد) مرفوض. لن أسمح للفرنجة بغزو أرضى تحت أى حجة. انصرف..

الرسول: ولكن!

كُريّم: قلت انصرف.. والآن..

الرسول: حسنًا. سنترك الميناء، ونقف فى عرض البحر لكى نمنع عنكم أسطول الفرنسيس إذا هجموا على الإسكندرية، ولا تطلب مقابلاً غير الإمداد بالماء، والزاد بثمنه.

كُريّم: أنا أعرف دهاء الإنجلين. تتمحكون فى الفرنسيس لكى تدخلوا البلاد، وهذا مرفوض تمامًا.

الرسول: نحن لا نريد..

كُريّم: (مقاطعًا) هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل. غادروا الميناء حالاً. (ثم مهمومًا) واللا عثمان بك قومندان أسطول الباب العالى والموجود دلوقتى فى الميناء هايتصرف..

(ثم يشيح كُريّم. يتراجع الرسول مذعورًا. فجأة يخرج الجنود والأتباع عن وقارهم)

الجميع: (بصيحة النصر) هيه.. الله أكبر.

(يُطفأ على مستوى القلعة)

(يُضاء على السوق فى المستوى الأرضى من المسرح. نهار. والخلفية سور القلعة، قلعة قايتباي. والبضاعة أقمشة مختلفة، أدوات نحاسية، فحم، ملابس قديمة، أطعمة، فواكه. يلاحظ بصفة عامة أن العوام من المشترين لا يقتربون من البضائع الغالية، ولكنهم يتزاحمون على الملابس القديمة والأطعمة الرخيصة. والشحاذون فى ركن بقيادة محارب الذى صنع

لنفسه عاهة تميزه، والموسيقى تناسب عصر بداية الحملة الفرنسية.. وفى الخلفية نسمع دائمًا إيقاعًا ما ينذر بالخطر رغم الهدوء الظاهر. بائع (١) شبه نائم.. يلمح تركيًا يدخل المسرح بملابس مواشاة بالقصب وحوله المماليك الأتباع يفسحون الطريق. يهب بائع (١) ويسرع إليه)

بائع (١): (فى محاولة لإغرائه)

حرير طبيعى جميل.. م الهند وبلاد تبريز.

بائع (٢): شاى معتبر آخر مزاج..

تشترى منه ويروق الحال المتكدر..

وآه يا مزاج.

(يدخل اثنان بملابس تاريخية ينفخان النفير)

المنادي: السيد محمد كُريِّم، حاكم الإسكندرية.

(تنشط الموسيقى والحركة السريعة من الفقراء ورواد السوق يتسابقون لرؤية موكبه وهو يسير على قدميه، ومعه بستاني، وقد انتفش وبعض الأعيان من المصريين)

(محارب ينشط فى تحريك الشحاذين)

محارب: (بإشارة للجميع) يا الله.. ادوها..

(يتحرك الشحاذون، كلّ يستعرض عاهته)

شحاذ (٢): (يتقدم ممسكًا بعينه) بص لعينى، أنا مش شايف. أأمر حالاً بعلاجي.

محارب: (بسرعة يعطى إشارة للثاني)

شحاذ (٢): (يتقدم مستعرضًا فقدان ساقه) بص لرجلي، أنا مش ماشي. إدينى ثمن عكازي.

محارب: (بسرعة للثالث) إديها.

شحاذ (٣): (تتقدم الفتاة بسرعة ورقة) بص لوشى وانت شوف إزاى عمرى ما دقت القوت.

محارب: (كالمايسترو) كله.. ادوها.

الشحاذونك (فى تكالب على كُريّم الذى لم إشارات محارب)

يا حاكم اسكندرية يا غالي..

يا حلو يا أبو المقام العالي..

ارفع ظلم الدنيا عنا، وادينا دنانير..

هات.. هات.

كُريَم: (فى ضيق وقد هجموا عليه. يحاول أن يخلص نفسه)

لو أنفقت كل مالى عليكم، فلن تحل المشكلة.

سكرة: (تعترضه فى تحدٍّ) وأيه بقى اللى يحل المشكلة؟

(تصرخ فى الباقين) يااللا ابعدوا..

(يتراجع الفقراء بإشارة من محارب)

كُريَم: (بعد تفكير) لما يبقى فيه نظام عادل، فيه الناس تشتغل وتاخد الأجر اللى تستحقه.

سكرة: (بتهكم مغيظ وبتحريض للباقين)

حد فينا بيشتغل ويطول الأجرة؟ بالكامل؟

الشحاذون: ما بيحصلش.

كُريَم: (لنفسه بسفسطة)

إذا عمل البشر..

وحصلوا على الثمر..

يكون عدل الله..

فى الأرض قد ظهر.

سكرة: (تتراقص بالصاجات) العدل.. العدل.. العدل؟ العدل يباع ويشترى فى الأسواق. من يدفع للقاضى يأخذ حقه.

بستاني: (فى رعب) سامع اللى بتقوله يا كُريّم؟

الفقراء: (بحرقة) من يدفع للقاضى يأخذ حقه.

سكرة: واللى ما يدفعش؟

الفقراء: (بالغناء) يضرب.. يجلد.. ويهان.

بستاني: اخرسي.. العدل يباع ويشترى فى الأسواق؟

سكرة: ما أنت عارف وكلنا عارفين، أيه الحكاية مع الباشوات والمماليك.

بستاني: (بغناء وتحريض) يا عاهرة.. يا فاجرة.. يا داعرة.. أنتم عارفين مين هيه سكرة؟

البائع (٢): طبعًا عارفين.. غازية من أهل الملاعب.

بستاني: وبتطاول على مقام الأسياد؟ (يصيح فى الناس) ارجموها.

الناس: (يلتقطون الحصا من الأرض) هه.

سكرة: (في ذهول) دا معقول؟ بقى بعد اللى عملته مع الباشا علشانك عاوز الناس ترجمني؟

بستاني: (من بين أسنانه) اللى زيك لازم يموت.. أنت مراية للعفن (صارخًا) ارجموها.

(حركة عنف فى السوق. يتسابق الناس لأخذ أشياء لرجمها، وسكرة ساخرة من الجميع)

التجار: (يشرعون فى الزحف إليها فى أوضاع الرجم) هه.. هه.

الفقراء: هه.. هه.

(القلق يستبد بالرحلة على المستوى العلوي)

ليلى: (تخفى وجهها) تترجم علشان قالت رأيها؟

الفقراء: (بشدة أقوى) هه.. هه.

كُريّم: (بحركة من يده يمنع الناس) انتظروا.

بستاني: يستنوا أيه؟ بتدافع عن غازية يا كُريّم؟

كُريّم: لا بد أن نعرف سر شكايتها.. أكملي.

سكرة: وهاتدينى صك أمان؟

كُريّم: إنت فى أمان.

(تنفرد بمساحة من المسرح حيث يفسح لها الناس المكان بالرقص والغناء)

سكرة: أبويا كان قرداتى تمام، لكنه مات من كتر الأتوات.. بعده
اشتغلت فى مهنته. وفى شغلتى كنت منورة، متغندرة،
باكسب كتير، وجانى بدل العريس ألف، ألف عريس.

الرحلة: عريس.. عريس.

سكرة: (بعد أن تنظر إليهم تستمر)

وقبل ما تهنّى على حالي، واكتب كتابى على
اللى فى بالي، طلعوا اللى قتلوا أبويا، وقالولى
هاتي.. وهاتي.. وهاتي.

كُريّم: همة مين؟

سكرة: (فى تصاعد حانق) المباشر.. الكشاف.. ملتزم.. محتسب.

الفقراء: مباشر.. كشاف.. مليتزم.. محتسب.

فاطمة: لحظة.. لحظة.. أيه الأسماء دى كلها؟

وجدي: كلمات تركية. بعدين هاشرحاله.

فاطمة: تركية؟

كُريّم: استنوا.. استنوا. دى بتتكلم عن الأتراك والمماليك.

سكرة: (تنظر إليها) أيوه الظلم جانى من الأتراك.

(ثم بتحفز) والمماليك ونظامهم.

(يتحفز بستانى يستل سيفه)

كُريّم: اخرسي. الأتراك همه اللى حاميين بلادنا من غزو الفرنجة.
الأتراك أسيادى وأسيادكم.

سكرة: (بتحدٍ بالغناء) أسيادكو دى مش عاوزة طلاسم..

همه اللى ادوكو مناصب..

لكن احنا بالجوع عايشين.. ومش عاجب.

بستاني: (بسرعة) ارجموها.

سكرة: (فى ذعر) بس أنت اديتنى الأمان!!

(دقات موسيقية. يهم الناس بحركة الرجم..
والفقراء ينظرون إلى كُريّم)

كُريَم: أكملي..

سكرة: المحتسب فرض الضريبة، وخد دارى والزريبة، وبرضه لسه عاوز.. اديته القرد ولسه عاوز.

(ثم بمرارة) عاوز جسمي، عاوز شرفي.

(بعنف) رفضت، وجريت ع القاضى بمظلمتي.

(تصرخ) يا سيادة القاضي، يا منار العدل فى

بلادي.

التجار: (بالغناء مثلها)

يا سيادة القاضي، يا منار العدل فى بلادي.

سكرة: طلع لى كتخداه.

محارب: (هو وواحد من الفقراء يشخص القاضى وكتخداه) هاتى معلوم أفندم.

سكرة: جاية للقاضي أشكيله من ظلم جابى المكوث.. خد مالى ودارى وزريبتى وعاوز شرفي.

محارب: (فى إهاب الكتخداه بالرقص)

علشان تدخلى لجناب قاضي..

أنا لازم أكون عنك راضي..

وأنا ما ارضاش عن مظلوم..

اللا إن بز بالمعلوم.. بزى.

سكرة: ما معيش.

محارب: لأه.. معاك (متقمصًا)

الفقراء: معاها أيه.. دى جاية أصلاً تشتكي.

محارب: (ما زال متقمصًا كتخداه) صوص خرسيس. أنت مش أفهم.

(ثم بغناء شبق)

دى معاها عيون رباني.. أفندم

وشفايف لولى ومرجاني.. أفذدم

وقوام سايب متداري.. أفندم

(ثم ينزع خمارها) اكشفي.

سكرة: يعنى هاتتجوزني؟

محارب: (مع تغير الموسيقى) صوص بنت خرسيس..

جناب أنا.. يعنى أنا جناب قاضي..

أتجوز مصري.. خرسيس؟ تعالى (يهم بالإمساك بها)

سكرة: (تخلع الشبشب وتنهال عليه) خد.. خد خد كمان.

الفقراء: أديله.. أدي.. أديله.. أدي.

بستاني: وهاتسكت على اللى بتقوله يا كُريّم؟ أصدر حكمك. اتصرف. دى أهانت كل الأسياد.

كُريّم: انتظر (ويتأثر) وماذا بعد؟

سكرة: خلاص. عرفت.. عرفت.. إن الشرف مالوش قيمة قدام اللى يحكمني.

(ثم بغناء حزين)

أنا حتة كلبة مصرية.. من الأوباش..

ما ليش حد يحميني.. من الأعيان..

ولازم أكون محظية للمماليك والأتراك..

أنا أرخص حاجة فى مصر..

كل جريمتى إنى مش تركية..

ولا حتى مملوكية.. ولكن بكل مرارة مصرية.

(الفقراء يصفقون بحماسة)

بستاني: (لسكرة) أنت عيبتى فى حق الأسياد. اقبضوا عليها.

(يهم الأعوان بالحركة)

كُريّم: دعوها تمضى (لسكرة) اذهبى إلى حال سبيلك (يكاد يدمع) امضى فى أمان الله.

بستاني: بعد دا كله تسيبها؟ كده هاتجرأ العامة علينا (بهمس) وأنت لسه جديد فى الحكم.

كُريّم: (فى مقدمة المسرح وبصدق) شيء فى حكايتها هز كل كياني، مش عارف أوصله بعقلي، لكن بيتسرب لقلبى وبيوجعني، صدقنى يا بستاني. سكرة دى اتولدت فى الفقر زيي. أنا لقيت طريق وهربت من الفقر. من واجبى النهاردة أساعدها تبتدى حياة نظيفة وكُريّمة، ولا يمكن هاسمح لأى بنت مصرية أنها تبقى محظية.

(ثم يلتفت إليها) قلت امضى فى أمان الله.

(تفرح الموسيقى.. تنشط الحركة على المسرح)

الفقراء: (يصفقون) يعيش كُريّم..

سكرة: (تزغرد وهى تجرى خارجة) إدانى الأمان.. إدانى الأمان.

بستاني: نفسى أفهمك. نفسى أعرفك. جاوبني. أيه اللى غيرك من لحظة ما بقيت حاكم؟ أيه اللى حصلك يا كُريّم؟

(تسمع طلقة مدفع. يتجمد كُريّم وبستانى على المسرح. يلتفون للعمق. يظهر أعلى السور المنادي. يبحث بعينه فى صمت. ثم يشاهد كُريّم فى أسفل المسرح. فجأة يصيح)

المنادي: (صارخًا) الحقنا يا سيد كُريّم.. الحقنا يا حاكم المدينة.. جيش الفرنسيين فى المينا، ومصوب مدافعه علينا، وطالبين ع السفينة، الحاكم وقنصل المينا.

(تعنف الموسيقى. يضاء المسرح كله. نرى الباعة يجمعون بضائعهم بسرعة، والناس يشرعون فى الجرى من المسرح.. يجرون على الرامب، والمنادى يترك الرامب، وفى يده أوراق، وتعنف حركة الناس مع كلام المنادي)

أصوات: يا لطيف.. يا مغيث.. يا منجى من المهالك يا رب..

(يستمر هذا الغناء فى الخلفية حتى هروبهم جميعًا من المسرح عدا كُريّم)

بستاني: (بخوف) روحلهم يا كُريّم شوف عاوزين أيه؟

كُريّم: أروحلهم (بقوة).. أنا مش هاتحرك من هنا، وبامنع نهائي.

(يبدأ الجميع فى الهروب من المسرح)

كُريّم: أى حد منهم ينزل، ويدنس شط اسكندرية.

بستاني: (وهو يتراجع بالحركة) وإن نزلوا؟

كُريّم: راح أمنعهم.

بستاني: وإذا ضربوا مدافعهم؟

كُريّم: الباب العالى هايقهرهم.

بستاني: وإن كانت مدافعهم أكتر؟

كُريّم: هنا المماليك تحاربهم.

(ثم مع تغير الموسيقى) أنت ليه عاوزنى أيأس؟

أنت ليه عاوزنى أسلم؟ أتكلم.

(وقد فرغ المسرح تمامًا إلا من كُريّم وبستاني)

بستاني: (يتراجع بظهره فى مزيج من الإحساس بالانبهار بكُريّم، ولكن الخوف يغلبه) أنا مش عاوز أموت.. عاوز أعيش.

(يجرى بستانى من المسرح وقد فرغ تمامًا إلا من كُريّم وحده. يتلفت حوله وقد أحس بالوحشة؛ لأن الإضاءة الآن تحصره وحده والباقى ظلام)

كُريّم: (بدون غناء وعلى أكو) لأ.. أنا مش خايف..

مش خايف.. لا من الحملة ولا فرنسيس. هابدأ فورًا وابعت مراسيل..

(يصيح) اكتب إلى صاحبى مراد بك المقدام.. أذكرك بما قلته أمامى من أنه لو كل فرنجة الدنيا دى هجموا علينا بالسلاح، بسنابك خيلى هادوس على روسهم. سيدى مراد بك، لقد وقعت الواقعة ووصل الفرنجة، فأرينا الهمة.

(ثم يجرى فى أرجاء المسرح مع الموسيقى)

كُريّم: ومرسال للوالى الباشا أو بكر، أدركا يا صاحب الأمر. مطلوب إمدادات حربية، لكن على وجه السرعة؛ فالأمر خطير؛ إذ هجم علينا الفرنسيس، بعمارة مالها مثيل، ونحن تقريبًا عزل (تعلو الموسيقى)

(يجرى فى اتجاه آخر) ورسالة ثانية إلى الباب العالى فى استامبول، مكتوب فيها نفس المضمون.

(يجرى فى اتجاه ثالث) ورسالة ثالثة إلى صديقى إبراهيم بك (بعنف) أغيثونا.. الأمر خطير؛ هجم علينا الفرنسيس، وواقفين على الشط، ومعاهم آلات حرب وعساكر كتير (صارخًا) أدركونا، نحن تقريبًا عزل.

(يجرى فى اتجاه رابع) ورسالة إلى إبراهيم بك.. ورسالة إلى...

(يضاء على سكرة ووجهها)

(تتغير الموسيقى إلى الرقة بالتدريج)

سكرة: (بغناء رقيق حالم)

كل الناس نامت..

وانت هاتفضل وحدك سهران..

عمارة الفرنسيس غارت..

روح دارك بقى ونام..

وارتاح وقول الحمد لله..

كُريّم: (بعد أن ينظر إلى الأفق فلا يرى شيئًا) الحمد لله.. كابوس وانزاح بس أسرع مما كنت أتخيل. تصبحي على خير.

سكرة: وانت من أهله.

(إظلام تدريجى عليهما. أصوات موسيقى الفجر مع العصافير، وصياح الديكة)

(تزحف الإضاءة من السماء التى تضيء بالتدريج بالفجر. بقع ضوئية متباعدة بالكادر. تظهر حركة الباعة وهو ينصبون السوق بحركة استهلال يوم جديد، وفى العمق البعيد نسمع بالفرنسية لحن الحرية، المساواة، الإخاء

بالفرنسية، ولا يتضح الصوت إلا مع ظهور نابليون فى منتصف المسرح. أحد الباعة يلتفت. تزيد الإضاءة على البائع نفسه، ونرى جنديًا فرنسيا بالسلاح يواجهه مع ضربة موسيقية مفزعة)

بائع (١): أيوه (صارخًا بفزع) الحقنا يا سيد كُريّم، عسكرى فرنسى واقف قدامي.

(باقى الباعة ينتبهون، والبائع يجرى إلى بقعة نور أخرى. نجد جنديًا فرنسيًا آخر. تتسلل الإضاءة بالتدريج لنكشف أن المسرح مملوء عن آخره، وعلى المستويين العلوى والسفلي، بالجنود الفرنسيس، والناس يجرون فى ذعر، وكذا أفراد الرحلة، والموسيقى تكتمل إيقاعتها المفزعة)

بائع (٢): الحقنا يا سيد كُريّم.

بستاني: (يصرخ) فين الوالى يا كُريّم؟ فين الباكوات؟

كُريّم: (يظهر مع موسيقى تمييز فى حضوره)

سكرة: فين الوالى يا كُريّم؟ فين الباكوات؟

كُريّم: (فى اضطراب حقيقي) جايز ما وصلشى المرسال؟

كورس العامة: جاين.

كُريّم: يمكن لسه بيجهزوا السلاح والمراكب؟

كورس العامة: (من فوق الرمب) يمكن..

بستاني: (بخوف) لأ.. نطلب الأمان من الفرنساويين (ثم مستدركًا) على الأقل لحد ما يجوا المماليك؟

محارب: وهايجوا؟

كورس العامة: لازم يجوا.. لازم.. لازم يجوا.

كُريّم: (وقد وجدها ويحدة) وإن ما جوش هانعمل أيه؟

بستاني: فى أيدينا أيه نعمله؟ لازم نستني.

كُريّم: نستنى مين وازاي؟ إحنا دلوقتى لازم نتصرف. مش هانسيب إسكندرية للخواجات الأنجاس.. هه.. مين معايا؟

الكورس: هه.. إحنا معاك يا كُريّم.

(تدب الحماسة فى العامة والباعة)

بستاني: (يعترضهم) استنوا.. استنوا.

سكرة: (تنبرى بالغناء وخلفها المجموعة)

ازاى هانستنى؟

والفرنسيين أهم قدامنا..

وشوشهم فى وشوشنا..

وسلاحهم على رقابينا.

(ثم تجرى ناحية كُريّم) أنا معاك يا سيد كُريّم.

كورس العامة: وأنا معاك.. وأنا (أصواتهم كالرعد مع الموسيقى)

كُريّم: (وقد أحس بالقوة)

(بأمر) طلعوا السلاح، ووزعوه على كل من يقدر على حمله.

(حركة عارمة على المسرح. ينسحب الفرنسيون فى سرعة، ويأخذون وضع استعداد بالسلاح أمام القلعة. ومجموعة بائع/٢ تجرى ناحية إشارة كُريّم، وبعض الفرنسيين يصعدون على الرمب ليأخذوا وضع استعداد).

كُريّم: (مستمرًا) الشيخ عبد الرحمن صدقي، أنت ورجالك مسئولون عن باب قلعة قايتباى القبلي.

الشيخ: (لأعوانه) ياللا يا رجالة.

(تتحرك مجموعة الشيخ، وكُريّم مستمر)

كُريّم: الشيخ محمد بن عبد الله الطيب، أنت ورجالك مسئولون عن بابها البحري.

(تتحرك المجموعة الثانية)

العام (١): واحنا التجار؟

سكرة: واحنا الغوازى وأهل الألعاب؟

العامة (٢): والصيادين؟ (ثم تتداخل الأصوات فى هارموني) والنحاسين؟ والفحامين؟

الجميع: هانعمل أيه من غير سلاح؟

كُريّم: اترسوا فى الشوارع والزقايق والدروب (حركة جماعية على المسرح) واطلعوا فوق أسطح البيوت، وبأى حاجة فى أيديكم احدفوهم، إن شا الله بالحلل النحاسية أو عمدان السراير.

حنا: واحنا.. واحنا.. هاتسيبنا واقفين نتفرج؟

(تتغير الموسيقى إلى نغمة رقيقة)

كُريّم: (يلتفت بابتسامة ربستاتيفوا) المعلم حنا الأسيوطي؟ هات رجالك وتعالى معايا.

بستاني: استني.. إزاى هاتدخل النصارى فى حروبنا؟

كُريّم: المعلم حنا الأسيوطى قبطي.. يعنى مصري. ومدام مصري، يبقى من واجبه يدافع عن بلده، زيه زى كل المصريين.

حنا: (يجرى فرحًا) تعالوا يا أولاد.

بستاني: (مكملاً) هايدوا للفرنسيس أسرارنا، والدم يحن.

كُريّم: (لبستاني) مش من حقك ترجمهم بظن سخيف فى دماغك ومالوهش دليل.

حنا: طب استنا علينا وراقبنا.. وإن شفت إننا بنخون أو بنوالس مع الشواجات، يبقى اتكلم. لكن دلوقتى أوعي ما تعطلنيش. (ثم لمن معه) يااللا يا اولاد.

كورس العامة: هيه.. هيه..

(لتبدأ طبول الحرب مع حركة الزحف من المصريين بالنبابيت، وأدوات بدائية. تنسحب

الإضاءة من كل المسرح بالتدريج، وكذا الموسيقى.. وفى أثناء انسحابها يغرق المسرح بالأوراق، التى هى منشور نابليون، ولكن المتحاربين لا يلتفتون إليها رغم موسيقى نشيد الحرية والإخاء والمساواة الفرنسي)

(بالتبادل أيضًا فجأة على جزء من المسرح فى المستوى الأرضي.. جزء من قلعة قايتباي، ويمكن تكملة سور الخلفية. كُريّم والسلاح فى يده يطلق الرصاص من كل الفتحات ومعه رجاله، والجنود الفرنسيون مدججون بأسلحة كثيرة يحاصرونهم فى حركات إيقاعية مع الموسيقى حتى يحكم الحصار عليه.. وهو ثابت. موسيقى غريبة. يفسح الجنود طريقًا)

المترجم: (يعلن بالغناء)

السر عسكر الكبير، أمير جيوش الفرنسيس، نابليون بونابارتا.

(فى أثناء هذا الإعلان يتقدم نابليون وسط جنوده، مزهوًا، إلى أن يصل إلى كُريّم. صمت تام. يتواجه الرجلان. أصوات كعوب الأحذية على الأرض فى حركة الجنود المتحفزة وحركة كُريّم وحركة نابليون هى أساس الموسيقى فى هذا المشهد، حتى يفلح نابليون فى أخذ السلاح من كُريّم بعد أن قيد باقى الجنود حركته).

نابليون: (بالفرنسية) لقد أخذتك والسلاح فى يدك.

المترجم: (وغير مهم ظهوره شخصيًا) يقول بونابارت: لقد أخذتك والسلاح فى يدك، وكان ممكن أعاملك كأى أسير، لكنك استبسلت فى الدفاع عن بلدك.

نابليون: (بالفرنسية وهو يعيد إليه السلاح) ولهذا أعيد إليك سلاحك.

(نابليون يعيد إليه السلاح)

المترجم: ويتمنى نابليون أن تبدى للجمهورية الفرنسية ما كنت تبديه للحكومة السيئة، يقصد الباب العالى والأتراك.

(كُريّم يأخذ سلاحه. يضعه فى مكانه، ويشيح بكرامة عن نابليون، الذى يلتفت إلى المترجم بعد أن ينظر طويلاً إلى كُريّم. نابليون يعطى إشارة من يده. ينصرف الجنود فى نظام. ومع خروجهم تضيق بقعة الإضاءة ليظهر كُريّم ونابليون وحدهما)

نابليون: (بالفرنسية) ألاحظ أن هذا الرجل..

المترجم: (صوت فقط ونابليون يمثل) يسألك بونابارته: لماذا تكتم مشاعرك؟ أريد التفاهم معك.

كُريّم: (فى حالة نفسية خاصة مع الموسيقى. ينظر إلى المترجم مشيرًا إلى نابليون) قُلّه يشيل جنوده وعساكره، ومدافعه (ثم لنابليون مباشرة) وارحل بعمارتك فى الأول.

المترجم: (مع حركة نابليون فى الحوار) جئت لأرحمكم من ظلم المماليك.

كُريّم: ما طلبتش من حد مساعدة. وإذا كان ليكم فضل فهو أنكم كشفتولنا المماليك.. ولحد كده كتر خيركم. أنا وأهل البلد كفيلين بيهم. هانعرف ناخد تارنا منهم (للمترجم) بس قُلّه ياخد عساكره ومدافعه ويرحل.

المترجم: (على لسان المترجم) أنا جئت صديق. فمصر هذه أعظم بلاد الدنيا. العلوم والصنائع، والقراءة والكتابة، وكل ما يعرفه الناس اليوم، أخذ من مصر.

(بحماسة ترغيبية) من أجداد أهل مصر، أجدادكم، هذا تاريخكم؛ ولهذا جئت، لأعمل حكومة أهلية.

(يزيد فى حصار كُريّم) لأقيم المجمع العلمي، ونظام قضائى يتساوى أمامه كل الناس؛ ولهذا.

أحضرت العلماء فى الرياضة، والفلك، الطب والجغرافيا.

كُريّم: (فى صراع نفسى عظيم) الحملة مافيهاش بس العلماء.. فيها أكبر قواد جيش الثورة برتييه.. كليبر.. كافريللى.. ليه؟

المترجم: (يغريه) معنا أيضًا مصورون، ورسامون، ومثّالون، وموسيقيون، ومطبعة عربي.

كُريّم: ومعاك ستة وثلاثون ألف مقاتل.. خمسة وخمسون سفينة حربية.. ليه؟

نابليون: (يمعن فى أغراضه) وبكل علماء الحملة هانعيد لمصر مكانتها، لتعود أعظم بلدان الدنيا. (ثم رستاتيفو) وفيها مطبعة عربي.

كُريّم: (بعمق) إذا دا كان قصدك صحيح.. أأمر عساكرك بالرحيل حالاً، وسيبقى العلماء.. أنا عاوز العلم.

المترجم: ولماذا العلم؟

كُريّم: العلم هايقصر مشوارنا، ويخلينا نقدر ندير حياتنا بالعلم، وساعتها هانقدر نصد غزو العدا لينا، ونبقى أحرار. مش الحرية برضه هيه أهم شعار فى ثورتكم؟

المترجم: (بسرعة) خذ كل العلماء.

(يلتفت كُريّم إليه بفرصة مع الموسيقى)

كُريّم: (باندفاع) هاتهم.

المترجم: بشرط.. أن تترك جنودى يحموهم من جهل الجهلاء.

نابليون: (بالفرنسية) هذه يدي. اتفقنا؟ (يمد نابليون يده)

كُريّم: (بغضب مع تغير الموسيقى) وجنودك موجودين؟ لأ.. وعمارتك على الشطوط؟ لأ.. وعساكرك فوق بيوتنا؟ (بعنف قاطع) لأ.. لأ.. لأ.. اسحب جندك فى الأول.

نابليون: (بالفرنسية) هذا مستحيل (ثم على لسان المترجم بالعربية) لا بد من التفاهم.

كُريَم: (بسرعة) وأنا شرطى واضح.

نابليون: أنت عنيد (ثم بالفرنسية) انتهى.

(إظلام سريع على المسرح)

(على مستوى مرتفع يضاء على سكرة الملهوفة. يدخل لها كُريَم. تسرع إليه بفرحة)

سكرة: حمد الله بسلامتك يا سيد كُريَم. عرفت أن بونابارتا عفا عنك.

كُريَم: (فى غضب شديد) اسكتى خالص.

سكرة: هاسكت. بس أنت لازم ترتاح شوية.

كُريَم: لأ.. لسه ورانا شغل كتير. الفرنسيس هاينزلوا المحروسة. وأنا لازم أعطل وصولهم. (يصيح فى الفراغ وهو يجري) إلى كل من على نهر النيل.. فرع رشيد من الإسكندرية وحتى المحروسة، تتجه الحملة الفرنسية إلى الرحمانية من أجل ركوب النيل، ومنها إلى باقى البلاد حتى قبلى (يصرخ بقوة) عليكم جميعًا حرافيش وعربان، تجار وفلاحين، مسلمين وأقباط، وكافة صنف عمال، عليكم جميعًا أن تفوروا آبار الماء فى طريق الحملة ليموتوا ظمأً. وإن استطعتم قاتلوهم وامنعوهم من دخول المحروسة.

(ثم يتهاوى فى مكانه من شدة الإرهاق) وسنوافيكم فورًا بكل تحركات الفرنسيس.

سكرة: نص الليل أهو عدى، ومراد بك فى الطريق ليهم. ما يجراش حاجة لو بس ساعة تريح بدنك.

كُريَم: (وهو يغالب النوم) لسه المشوار طويل يا سكرة.

(يغلبه النوم. توسده على رجلها وتنظر إليه بحب حنون. تغمرهما الإضاءة)

سكرة: (بغناء رومانسى من القلب)

يا ربي.. أيه بس اللى حصللي..

معقول للدرجة دى باحبه..

إزاى راجل واحد يقدر يخلينى على دا الحال؟
وهو راجل مش أكتر.

(يخرج. تطفأ الإضاءة لتضاء على معسكر الفرنسيين. نابليون فى قمة النشوة وأمامه كليبر، وبإيقاع فرنسي)

نابليون: كليبر (بالفرنسية) غدًا أو بعد غد (ثم بالعربية) نوصل المحروسة. هانلاقى كل المصريين مستنيين الحرب مع إحنا.

كليبر: باردون.. ليه دايمًا أنسى – نابليون – أتراك.. مماليك؟

نابليون: (بابتسامة ساخرة) دى مش أعرف حارب كليبر، دى مش أرضى حارب. أتراك.. مماليك غنى واللى عنده (بوكو دارجان) ومش فى بلده يهرب بفلوس.. مش يحارب. كليبر، افهم (ثم بقلق أوبرالي) (توت لابروبليم) فى المصريين.

(تهبط الإضاءة على نابليون وكليبر وهما يخططان للمعركة. يضاء على مستوى آخر. نصوح باشا خائف. لكن حين يقترب منه بستانى بأدب ونفاق، فإن نصوح باشا ينتفخ وينتفش)

بستاني: نصوح باشا يا غالي، يا مندوب الباب العالي، فى بلدنا (ثم بحزن) الفرنسيس فى طريقهم للمحروسة.

نصوح: (ينتفض بصوت أجش) ليه مصرى دايمًا خواف. أنتوا مصريين؟! لازم تكونوا مستعدين، وللشهادة جاهزين.
(ثم يلتفت إلى الطعام) انتوا عددكوا كتير.. ما فى مشاكل لو مات منكم كام ألف.
(يترك الطعام مستدركًا) قصدى استشهد فى سبيل الله، فى سبيل الحق. وبالجملة مراد بك.. إبراهيم بك انتظر فرنسيس فى إمبابة.

(تهبط الإضاءة عليهما ليضاء فجأة على جموع المصريين)

العامة (١): (بحماسة) هانحارب.. هانحارب.

العامة (٢): (شبه حلقة ذكر) يا لطيف.. يا مغيث.. يا منجى من المهالك يا رب.

(ويستمر غناؤهم فى الخلفية باقى المشهد)

(تقل الإضاءة عليهم، لتضاء على المماليك فى مكان رابع)

المماليك: إحنا المماليك.. جاهزين.. جاهزين، ومن بعيد بنراقب.

أحدهم: لو غلب الباب العالي؟

المماليك: على طول ليه هانوالي.

أحدهم: ولو غلب الفرنسيس؟

المماليك: وقعتنا هاتبقى طين.. لكن م المصريين هانخلص تارنا.

جميعهم: هانخلص تارنا من المصريين.

(تهبط الإضاءة إلى النصف عليهم)

العامة (١): هانحارب.. هانحارب.

العامة (٢): يا لطيف.. يا مغيث.. يا منجى من المهالك يا رب.

(تزيد الإضاءة على نابليون وكليبر)

نابليون: (بحماسة) دى موا.. وا.. ابريد دى موا.. نوصل محروسة.

(ثم بعنف) هاتبدأ ثورة مصريين.. بوم.. بوم.. بوم.. هانحصرهم. لازم النصر، ونحكم مصر (فيف لا فرانس).

بستاني: (يدخل كُريّم) مراد بك وإبراهيم بك هايستنوا الفرنسيين بمراكب مليانة بارود فى شبراخيت وإمبابة.

(ثم تتداخل الصوات باقى المشهد فى هارموني)

نصوح: (بصوته الأجش) بكرة مصريين تغلب.. سلاح فرنسيس نمسك، ونأدب مصر (يكررها).

كورس العامة: (بتداخل مع السابق) هانحارب.. هانحارب.

كورس العامة (٢): (بتداخل) يا لطيف.. يا مغيث.. يا لطيف.. يا مغيث.

المماليك: (بتداخل مع نصوح والعامة)

احنا المماليك.. جاهزين.. جاهزين..

ومن بعيد بنراقب.. ولو غلب الفرنسيس..

وقعتنا هاتبقى طين..

لكن هانخلص تارنا من المصريين.

سكرة: (رغم صوت نصوح والعامة والمماليك).

مش بأيد الجنين.. قبل ما يصبح وليد.. يهرب من رحم الأم.

كورس العامة: (باستمرار) هانحارب.. هانحارب.

كورس العامة (٢): يا لطيف.. يا مغيث.. يا منجى من المهالك يا رب.

نابليون: (بتداخل مع كل من سبقوه) لازم النصر. هانحكم مصر، وفيف لافرانس.

كُريّم: يمكن يكون دا حلم ويتحقق إن المماليك تسبقنا على شبراخيت وإمبابة ويفجروا مراكب الحملة.

نصوح: (بتداخل مع السابقين) بكرة المصريين هاتغلب. سلاح فرنسيس نمسك، ونأدب مصر.

كورس العامة: هانحارب.. هانحارب..

يا لطيف.. يا لطيف..

كُريّم: هايحصل إن المماليك تسبقنا على شبراخيت وإمبابة ويفجروا مراكب الحملة؟

«ستار الفصل الأول»

الفصل الثاني

المنظر: داخل القلعة. كُريّم وقد خلع ملابسه الرسمية، ينظف بندقيته، ومجموعة من الرجال يفعلون الشيء نفسه وسيدة تقدم للجميع الشاي، وسيدة أخرى تكنس ما يقع من الرجال فى أثناء التنظيف. حربى يقود مجموعة مكونة من ثلاثة أو أربعة، يدربهم على الاشتباك بالسلاح الأبيض، فى حين تضع سكرة عينيها على كُريّم وهى تعمل ساندوتشات. وحين تلمح أى عرق على وجهه، تترك ما فى يديها وتجرى إلى كُريّم بالفوطة لتجفف عرقه.

كُريّم: (فى حرج) وبعدهالك يا سكرة؟ بلاش الحاجات دى وخليك فى شغلك.

سكرة: وأسيب عرقك ينزل على عينك؟

كُريّم: (فى ضيق لذيذ) أيووه على كهن النسوان.. أيه؟ ما كل الرجالة بتعرق.

سكرة: أنت غير كل رجالة الدنيا.. أنت الحاكم.. أنت الريس، (ثم بهمس) أنت الحبيب.

(يدخل بستانى مندفعًا)

بستاني: (بدهشة شديدة) أيه ده.. أيه ده؟ أنت قلبت مقر الحكم لورشة ومطعم؟

سكرة: الراجل راجل ماتهموش المظاهر؛ بيهمه النتايج. سمعت نتيجة المقاومة اللى دبرها السيد كُريّم أيه؟

كُريّم: (وهو يعمل) المفروض نعرف الأخبار الطازة منه.

بستاني: (بدون سعادة) نجحت يا سيد كُريّم.. مقاومة أهالى اسكندرية عند السور اتسببت فى إصابة كليبر بعيار نار فى قورته.

الجميع: الله أكبر.

كُريّم: (بابتسامة الواثق) وعرفت يا بستانى أن الجنرال مينو أصابه حجر، ووقع مجندل من على سور اسكندرية، وباسكال وماس، وغيرهم من جنرالات الفرنسيس.

(فجأة يعتدل كُريّم) السلاح جاهز يا محارب؟

محارب: والرجالة مستنية أوامرك، وأنا هاسبق وأديكم إشارة الأمان.

كُريّم: بالسلامة (ثم للرجال) بينا نوصل السلاح. الأهالى والعربان على خط رشيد، والنسوان معانا بالمية.

سكرة: جاهزين.

(تُطفأ الإضاءة عليهم وهم يهمون بالحركة)

محارب: (يغنى بما معناه) وعملها كُريّم وخالت.. واللى ما كانش الفرنسيس يتخيلوه.. إن ناس فى الغلب ده.. والفقر ده.. وقلة السلاح.. ويعرفوا يقاوموا بجبروت.. يصيب حتى قوادهم.. ويأخر وصول الحملة للمحروسة لحد ما يلموا جرحاهم وموتاهم..

والسؤال اللى جنن الفرنسيس.. مين اللى ورا الأفعال دى كلها؟ مين يقدر يجمع المصريين ويعمل منهم جيش مقاومة؟ مين؟

(يسحب النور من على محارب، ليضاء على مقر قيادة نابليون. ويقف أمامه كليبر مصابًا فى وجهه وعليه ضمادة)

نابليون: (بعد أن يتأمل كليبر وبالفرنسية) غريبة! (ثم بالعربية) كليبر قدرت تعرف مين اللى بيخطط للمقاومة؟

كليبر: اللى أنت أفرجت عنه فى بداية الحملة يا مسيو بونابارت.

نابليون: (بالفرنسية) لا أصدق (ثم بالعربية) السيد كُريّم؟

كليبر: سيدى القائد أرجوك تصدر أوامرك باعتقال السيد كُريّم، وأنا هاعتقله فى الحال.

نابليون: ليس الآن، جنرال كليبر، أنت مصاب وهاتستنى فى اسكندرية، وتمسك أمر الثغر بدالي.. لما ندخل مصر المحروسة هاتوصلك أوامر باللى لازم تعمله.

(يُطفأ على المسرح دفعة واحدة، ليضاء نور أقل سطوعًا على كُريّم المتحفز خلف ساتر شجرة أو جدار، فى يده السلاح، ويراقب ومعه سكرة)

(يُضاء على جزء من قصر نصوح باشا الجالس كالمعتاد، وأمامه يقف مراد بك بأدب)

نصوح: (بالغناء).

نحن نصوح باشا المغوار..

أصدرنا هذا الفرمان..

لمراد بك مملوكنا.. عسكر مع مدافعك ورجالك.

فى البر الغربى واقتل جيش الفرنسيس..

ومن يهرب منهم للنيل...

يتلقاه إبراهيم بك فى البحر الشرقي..

وورونا الهمة يا مماليك من شان تعلموا المصريين

وبالذات محمد كُريّم أهم درس فى حياتهم..

إنه من غير أسيادهم الترك والمماليك..

المصريين ضايعين.. ضايعين..

انتهى.. نفذوله.

(يُطفأ على نصوح.. إظلام تام على المسرح، إلا من الإضاءة الضعيفة على كُريّم وبعض أتباعه المتحفزين. وفجأة نرى وهج انفجار عنيف، ثم نسمع الصوت أشد عنفًا، ويهز المسرح. صمت وترقب من كُريّم وأتباعه. يدخل لهم محارب مسرعًا. تزاد الإضاءة عليهم)

محارب: الفرنساوية ضربوا بالمدافع والبنادق مراد بك فى امبابة، وقتلوا الآلاف من المماليك. ومراد بك هرب تانى على الصعيد، والوالى وإبراهيم بك هربوا على بلبيس.

كُرَيّم: يا خسارة.. ضاعت أكبر فرصة.

بستاني: هلبت ما انت شمتان فى مراد بك.. تلاقيك كنت خايف لا قوة المماليك تقدر على اللى ما قدرتش عليه يا سيد كُرَيّم.

كُرَيّم: (بعنف) أنت ليه باصص لمشكلة بلد بحالها إنها قضية شخصية؟ أنا كمحمد كُرَيّم مش مهم.

سكرة: بعد الشر.

كُرَيّم: مش مهم حتى أفضل عايش. المهم أن الفرنسيس ما يقدروش يخشوا المحروسة. دى كل القضية.

محارب: اطّمِّنْ يا سيد كُرَيّم، مشايخ الأزهر مجمعين الناس وواقفين للفرنسيس على أبواب المحروسة.

كُرَيّم: (يكاد يتهاوى) تفتكروا هاتحصل المعجزة؟ ويقدر ناس مالكين إيمان فى قلوبهم على جيش جرار ومتسلح؟

سكرة: قول يا رب.

كُرَيّم: يا رب أدينا القوة نكمل المشوار.. يااللا يا رجالة.

الجميع: (مع حركة الزحف) هيه..

(بالتدريج. ثم بعد اختفاء الصوت يضاء على الفرنسيس فى حفلة راقصة على المستوى الأعلى، وهو جزء من قصر مراد بك فى الجيزة، بعد أن أصبح معسكرًا لنابليون، ونابليون يفتتح الرقص. وبالتدريج يسمع صوت الشعب يقترب. يتكهرب الموقف)

نابليون: (متوقفًا عن الرقص والموسيقى مستمرة وبالفرنسية) ما المشكلة؟

كليبر: (يعود من نافذة وهمية) نجح كُرَيّم فى تجميع الناس. أتأمر أن أفرقهم بالحراس؟

(ثم بالفرنسية وببساطة) ليس هناك مشكلة.

نابليون: (بالفرنسية) والمشكلة (ثم بالعربية) ليست فى ناس، لكن فيمن يفهم، ويفهم باقى الناس. كُرِيّم فهم؛ ولهذا يجب أن يقتل.

كليبر: (ثم بصراع) أيعقل أن تبدأ الحملة وجودها بقتل زعيم؟

نابليون: (بالفرنسية) هذه المشكلة.

كليبر: (بلهجة أخرى بالعربية) أفضل المحاكمة.

كليبر: (بعصبية بالعربية) أيعقل أن ينجح رجل واحد أن يفقدنى أعصابي؟ (بالفرنسية) هذه مشكلة.

(بعصبية) مصريين طول عمرهم محتلين، وساكتين. الوالى عثماني، مش مصري، مماليك مش مصريين، لكن مش أعمل ثورة ضدهم. ليه معانا أعمل ثورة؟

نابليون: (بالفرنسية) هذه هى المشكلة.

(ثم بالفرنسية) والمشكلة ليست سهلة. المشكلة معقدة جدًا.

(تتغير الموسيقى وبالعربية) لكن القرار الوحيد اللى أصبح أكيد.

(بعنف بالعربية) كُرِيّم لازم يموت. لكن كيف نجده وحده، ليس وسط الناس وهم حوله؟

(ثم بالفرنسية) هذه هى كل المشكلة الآن.

(تُطفأ الإضاءة على نابليون فى المستوى المرتفع لتضاء على المستوى الأرضي.. حركة الناس فى حماسة. ونفاجأ بالمتاريس التى نصبها المصريون، وقد تترس معظم من تعرفهم خلفها. وكرين ينزل الرامب مخترقًا الجموع ومعه سكرة وبستاني، مع موسيقى ضخمة تنذر بوقوع أحداث كبرى)

كُريّم: (بلهجة القائد وإيقاعه) بستاني، أيه الموقف؟ عاوز أسمع.

بستاني: (بتردد) جنود الفرنجة كتير وسلاحهم أكتر. همه محاوطينا من كل مطرح.

كُريّم: (بالقوة نفسها) مالك؟ خايف؟

بستاني: (بمعاناة) قوى قوي.. خالص.

كُريّم: (بحسم القائد) إحنا بدينا المشوار، ولازم نوصل للآخر. هه.. أيه الموقف يا محارب؟

محارب: (بدون حماسة) عندنا بنادق، وشوية مدافع، بس ناقصنا البارود.

سكرة: (تندفع بقرار) أنا هاروح أجيب بارود.

كُريّم: أنت؟ (يمنعها بحركة من يده)

سكرة: (بحماسة) الدنيا ليل. وجنود الفرنج زمانهم ناموا. هاتسحب بشويش وسط الفرنسيس اللى ماتوا وفاتوا بارود وسلاح.. ألقط بارودة ولا اثنين وأرجعلك.

كُريّم: (بشهامة) لأ.. خطر الليلة مالوش حدود.

(ثم بقرار) أنا اللى هاروح.

سكرة: (بلهفة تمنعه) لأ.

محارب: لا أنت، ولا هيه.

(ثم بمرح وبساطة يغني)

اللى مطلوب فى الحال ده صحيح..

واحد يكون فى الجرى سريع..

زيي، وأنا اتعلمت الجرى سنين..

قدام كرابيج المماليك.. على ضهري..

(ثم يتسلق أحد المتاريس بسرعة)..

سكرة: ارجع يا محارب (بخوف تجذب طرف جلبابه)

محارب: (مكملاً صعوده وهو يخلص ثوبه من قبضة سكرة)

سيبيني.. أنا نفسى أحارب..

يمكن لو نهزمهم نفهم..

إننا مش للدرجة دى بهايم..
وإننا نقدر نحكم نفسينا بنفسينا..
ونخلص م الخوف اللى مالينا..
ونعيش أحرار..

كُريّم: حاسب يا محارب..

(صوت طلق نارى يصيب محارب. يهم بعضهم بالجرى ناحيته.. ويتحفز الآخرون بالسلاح، ويتدحرج محارب حتى يصل إلى منتصف المتاريس)

محارب: (وهو يحتضر مكملاً فى وضع استشهاد)
يا نموت واحنا بنقول..
إن الكرامة دى قوت..
وتستحق نموت.. (صمت) علشانها..
(ثم بسرعة تعود الموسيقى)
يا تعيشوا أحرار...

(تسرع سكرة إلى محارب تحتضنه وهى تبكي. كُريّم ينفعل، يقترب منه يحتضنه بقسوة. يكاد يبكي. المحاربون يترددون. يسرع بستانى إلى كُريّم)

بستاني: (فى لهاث نفسي) آأمر الناس يرجعوا بيوتهم. إحنا مش قد الخواجات. أهه قدامك رجالة وشباب بيموتوا بالزوفة.
(ثم صارخًا) عارف ماتوا ليه؟

كُريّم: علشان ما حدش علمهم أصول الحرب قدام جيش متدرب ومتنظم، وفى أيده سلاح.. سلاح محدش فينا سمع عنه.

سكرة: (ثم بلحن رقيق) وهمه يا حبة عينى من جوه ما فى أيدهم غير الشوم والعصيان، وحلم بأنهم يبقوا شهداء.

بستاني: موتهم بالطريقة دى يبقى داء مرضي؛ لأنه ما بيحققش نتيجة، أى نتيجة. الفرنسيس خلاص حكموا المحروسة.

(يبدأ الرجال فى التخلى عن مواقعهم المتحصنين بها.. يهمون بالخروج. يعترضهم كُريّم، ويتعقل)

كُريّم: دلوقتى آن الأوان، علشان نسأل نفسينا سؤال مهم، ومهم جدًا. إحنا بنحارب ليه؟

(لا يستطيع أحد الإجابة)

كُريّم: (يسأل) علشان يبقالنا الحق فى عمة عالية وثوب حرير؟ علشان نمشى فى مواكب، ومن قدامنا وورانا عبيد؟

(تزيد الحيرة فى الناس، فى حين يتضح انبهار سكرة بهذا. تقوم وتقف فى الناحية المقابلة لكُريّم. تنظر له بحب)

كُريّم: حد يجاوب؟

سكرة: إحنا عاوزين بس نعيش، من غير ما نبقى عبيد لحد.

كُريّم: واللى عاوز ما يبقاش عبد، لازم يكون حر. يعنى بنحارب علشان الحرية.

سكرة: ودى أغلى أمنية.

كُريّم: (مستمرًا) يبقى لازم تانى تسألي، أيه التمن اللى راح تدفعيه؟

سكرة: أدفع إن شاالله حياتي، عمري.

بستاني: وقيمتها أيه الحرية، بعد الموت؟ (بغناء عنيف)

أيه اللى هايفيد الإنسان.

لو كسب العالم كله..

وخسر نفسه..

عمره.. وجوده.. حبه؟

كُريّم: (بقوة روحية) الموت عمره ما بيحط نهاية للحب. بص حواليك واتأمل فى قوانين الكون، هاتلاقى إن البذرة لما تموت فى بطن الأرض بتطرح شجرة. وأنا عن نفسى بقيت واثق إنى زى الحبة المسكونة بحب البلد دى وناسها، ولما أموت واندفن فى بطنها، هايتولد بدالى ألف ألف شجرة بتزهر وتطرح ناس بتحب.

سكرة: (تفزع لنفسها) قلبه مليان بالحب صحيح.. بس مش ليا أنا؟

كُريّم: (لبستاني) عرفت ليه ما عدتش خايف من الموت؟

(ثم يصيح) بينا يا رجالة نكمل اللى ابتديناه.

(يخرج كُريّم وخلفه الرجال والنساء، وكذا كُريّم، فى الاتجاه المعاكس، وتبقى الإضاءة على سكرة وحدها فى حالة وجد قصوى)

سكرة: شعور غريب أول مرة ألقاه فى دنيا الرجالة.. راجل بيحب، بس مش واحدة بعينَها، ولا حتى صنف الستات..

دا بيحب سنابل قمح..

بيحب سن المحراث لما يشق قلب الأرض..

بيحب برمهات وطوبة..

بيحب نجوم السما نجماية نجماية..

ويقعد يرصدها..

بيحب الدنيا بحاله.. ويسميها مصر..

آه.. آه لو كنت مصر.

(تُطفأ الإضاءة على سكرة).

(يُضاء على المستوى الأرضي. رقصة التدريب. مجموعات من عامة الشعب فى حلقات فى العمق، وكل حلقة لها مدرب، وتقوم بحركة واحدة، مجموعة للالتحام بالأيدي، وأخرى بالسلاح الأبيض، وكُريّم يمر عليهم، وبستانى خائف فى مقدمة المسرح. تدخل سكرة من جانب المسرح ومعها سلاح فرنسي. وبين الحين والآخر يلتفت بستانى بخوف إلى اتجاه ما. يضاء النور فى اتجاه نظرته على جندى فرنسي. ينظر بمنظار مكبر. يلتفت بستانى إلى اتجاه آخر. نرى جنديًا تركيًا يستعمل يديه بطريقة النظارة المكبرة نفسها. بستانى يخاف أكثر)

سكرة: وادى سلاح، من عند الخواجات. اعملوا زيه (ثم تخرج من صدرها أوراقًا) وآدى كمان أوراق، بس مكتوبة أفرنجي.

كُريّم: (يأخذ الأوراق ويصيح) نادوا المعلم مرقص الملكي، يترجمها.

(المعلم مرقص يأخذ منه الأوراق ويجرى خارجًا، وسكرة تخرج من مكان دخولها نفسه، وكُريّم يتابع التدريب. فى أقصى عمق المسرح نرى وهج انفجار، ثم صوته. لحظات صمت وترقب من الجميع، وخوف من بستاني. بعد ذلك يدخل البائع (٢) صائحًا مُهلِّلاً)

بائع (٢): يا سيد كُريّم، كلامك جاب نتيجة، والواد فتحى الحداد عرف يفجر البارود اللى خدناه من مخازنهم.

كُريّم ومجموعة: الله أكبر.. الله أكبر (عناق حار بين الجميع وكُريّم، وزيادة غيرة وغيظ من بستاني)

(موسيقى راقصة مصرية، شعبية، تجعل بائع (٢) يرقص رقصة مصرية، مثل التحطيب أو الخيل أو السمسمية، يشاركه آخرون)

بائع (٢): هانجننهم.. وهانخبلهم.. هانهطلهم.

(ثم فى نشوة يلقى بالعصا لكُريّم) معايا يا سيد كُريّم.

كُريّم: (بعد أن يلتقط العصا ينظر إليهم) أقسمت ما عدت أرقص تانى ولا أفرح إلا إن خلصت الأول من بونابارته. بعديها هاعمل ما بدالي.

بستاني: (يتدخل بسرعة قبل أى رد فعل، ساخرًا مغيظًا) وبالطريقة دى هاتخلص منه؟ هأ..

كُريّم: دا بدل ما تشجعنى وتقف جنبي؟

بستاني: (بمأساوية)

كُريّم يا صديق العمر..

فاكر ازاى الحكاية ابتدت؟

أفكرك لما رفضت دخول الإنجليز..
علشان يحمونا من الفرنسيس..
(بدون غناء) استحملناك.. الخطر كان لسه بعيد..
(يعود إلى الغناء)
ولما ناديت على الحرب معاهم..
أيدناك، ووقفنا وراك..
(بنغمة أخرى)
لكن.. بعد ما أسيادنا انهزموا.. وهربوا..
(بعنف)
ليه عاوز تبقى لوحدك فى الميدان؟

كُريّم: مين قال إن أنا وحدي؟

(كُريّم يشيح عنه بكرامة، ويكور قبضتى يده، ويعقدهما على صورة علامة على أنه ليس وحده. يزيد غيظ بستاني، ويلف ليواجهه) .

بستاني: كُريّم جاوبني.. إيه اللى وصل الحكاية لقضايا كبيرة وخطيرة؟

كُريّم: من يوم ما وعيت على الدنيا، وأنا عايش وسط كل الأسماء، أحمد.. محمود.. جرجس.. حنا..

بستاني: (بتلاحق) وعلم أيه اللى عاوزنا ناخده م الخواجات؟

كُريّم: همه اعترفوا إن العلم خدوه من أجدادنا أمانة، وأنا باسترد الأمانة.

بستاني: دا بدل ما ترضى الباب العالي، وتقول إن كتب الفرنسيس نجسة؟ دا بدل ما توصفهم بالأشرار، الكفار، أعداء الدين؟ بتسميهم أعداء؟ بس أعداء؟
(صارخًا) ليه بتحارب كل الجهات؟

كُريّم: علشان نوصل لليوم اللى فيه الناس تقدر تختار اللى يحكمهم وكمان يحاسبوه.
(ضربة موسيقية مفزعة).

بستاني: (يتلفت حوله فى فزع واستنكار) الناس تختار اللى يحكمها؟ إزاي؟ أنت اتجننت يا كُريّم؟ فوق.. مصر بحالها ولاية، بس ولاية جوه نفوذ الباب العالي. يعنى كلنا على بعضنا مالناش قرار، أى قرار.. كُريّم، افهم.. إحنا بقينا محتلين من الفرنسيس، يعنى لازم نسلم.

كُريّم: (بعناد الواثق) أوعى تحاول تسرق منى إيمانى بربى ونفسى وبلدي.

(بعنف) أوعى يا بستاني. ولآخر مرة باقولك، احذر تكررها.

(ثم يدفعه) وابعد.

(كُريّم بنبالة) لحد هنا ولازم نفترق. أنت حر فى طريقك، وأنا حر فى طريقى مهما كانت آخرته.

بستاني: (صارخًا من مكانه) هايقتلوك يا كُريّم.

كُريّم: (بالتفاتة حادة ورومانسية عنيفة) وما عدتش خايف م الموت.

(ثم بعد تأمل لبستاني) ما عدتش خايف غير منك.

(موسيقى ضخمة. نظرات متبادلة بينهما. إظلام تام للمسرح كله)

(يضاء على مركز القيادة الفرنسية بالإسكندرية على المستوى العلوي.. خرائط وكليبر منهمك فى مراجعة أوراق، ولا ينظر إلى أحد من الفرنسيين اللذين يتحركون ومعهم الأوراق يتبادلونها بصورة راقصة)

كورس فرنسى (١): قوانين.. قوانين.. قوانين ومطلوب توقيعها.

(الفرنسيون يقدمون الأوراق لكليبر.. يوقعها)

كورس فرنسى (١): هذا قانون العصيان المدني.

كورس فرنسى (٢): وهذا قانون الطوارئ.

كورس فرنسى (٣): وهذا قانون مكافحة الشغب.

كورس فرنسي (٤): وهذه قانون الإرهاب.

كليبر: (قبل أن يوقع) أيكفى لاعتقال السيد محمد كُريّم؟

الكورس مندمجًا: يكفى لاعتقال كل المصريين.

كليبر: عظيم.. لا بد أن يعرفوا القوانين حتى يكونوا واثقين أن شعار الثورة مش تهريج أين صديق السيد محمد كُريّم؟

(فجأة تتسع دائرة النور لنرى بستانى مع القائد)

بستاني: (فى عذاب نفسي) ليه أنا من دون الناس اخترتوني؟ ليه يا مسيو كليبر؟

كليبر: (بعملية) أنت الوحيد، الصديق الحميم لكُريّم، وتعرف أين يكُون، ومتى يكون وحده دون الجماهير من حوله.

بستاني: (بتردد) ماقدرش.. صعب.. صعب. أنا مش خاين.

كليبر: (بغضب) ولماذا جئت؟

بستاني: جيت بعد ما شفت ازاى كُريّم معاه ماشيين فى اتجاه هايودينا فى داهية. كده ازاى أبقى خاين؟

كليبر: (برقة) لا تبحث عن الأعذار. لقد اخترناك لترحم أهلك من الخطر. فقط حدد لنا أين يكون، ومتى يكون وحده؟

(بدون غناء، مشغولاً) دون الجماهير من حوله.

بستاني: (فى صراع نفسى كبير) الخيانة مش فى دمي. النوع القذر ده من الأعمال صعب على نفسي.

كليبر: (ثم بصبر نافد) فقط حدد لنا أين يكون، ومتى يكون وحده.

(ثم بعصبية) دون الجماهير من حوله.

(إظلام سريع)

(يُضاء بهدوء على حديقة منزل محمد كُريّم بالإسكندرية على المستوى الأرضي.. الإضاءة فجرًا نرى بزوغه على المسرح.. وكُريّم ينتهى من صلاته فى الخلاء، فى حين بائع (٢) وبائع (١) نيام فى الحديقة، وكذا ثلاثة من العامة. جميعهم

معهم سيوف وهم نيام. يضاء على وجه بستاني.
يعطى إشارة بوجهه، ثم يطفأ عليه، لنرى الجنود
الفرنسيين يتسللون من الكواليس ليحيكوا بكُريّم..
الموسيقى رقيقة وتنذر بالخطر)

كُريَم: (ينتهى من صلاته) السلام عيكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله.

(تقوى الموسيقى. يقفز الجنود الفرنسيون من المستوى العلوى. يحدث هبوطهم أصواتًا مع إيقاع الموسيقى. ينتبه النيام بالتدريج، فى حين يحيط الجنود بكُريّم الأعزل من السلاح)

بائع (٢): خير؟ اللهم اجعله خير.

العامة: (واحدًا فواحدًا) خير.. حصل أيه؟

حصل أيه؟

أيه اللى حصل؟

(تقوى الإضاءة على الحديقة. الجنود مستعدون بالسيوف)

بائع (٢): (وقد استبدت به الحماسة يستل سيفه) سيد كُريّم ولا يهمك.. إحنا هاندافع عنك.

(بالتدريج) يستل كل منهم سيفه، وبسرعة فى وضع القتال.. كذا يستعد الجنود)

كُريَم: (يقف بينهما) أغمدوا سيوفكم. أنا ما قدرش أشوف دم حد منكم ينزف جوه بيتي.

بائع (٢): (مترددًا) ونسيبك وحدك؟

كُريَم: وجودكم حواليا كان شيء جميل ورائع، وله ألف مليون دليل. يدينى العزم ويقويني، بس دلوقتى خلاص. انتهت مهمتكم.

السيدة: ونسيبك لهم يا كُريّم؟ لأ.. إحنا مش جبنا، حتى النسوان مش جبنا.

سكرة: (فى هستيرية تهم بالهجوم على جندي) لأ..

كُريَم: (بالقوة الروحية نفسها يرفع يديه أمام حركتها)

فلتفعل بنا القوة الغاشمة ما تشاء.

(فيسارع الجند للإحاطة بكُريّم، وبعضهم يهددون من حوله. يخاف البعض من العامة ويجري. يبقى بائع (٢) يبكي. والجنود فى منتهى النشوة يحصارون كُريّم)

الجنود: (لحظة الإمساك به) ها.. وأخيرًا قبضنا عليه.

(ثم بالغناء والرقص).

بعد جهد جيد..

تم تنفيذ الوعيد..

وأصبح كُريّم العنيد.. فى قبضتنا..

(بصياح) ها ها.. ها ها.. ها ها..

(يكرر الجنود الغناء مع الحركة فى الخلفية. تظهر سكرة فى مقدمة المسرح ويجوارها بستاني)

سكرة: (فى ذهول لبستاني) السيد كُريّم اتقبض عليه؟

بستاني: (ساخرًا) فين الناس اللى كانوا حواليه؟

سكرة: أنا باحلم؟ قوللى دا حلم، لكن أسخف من كل الأحلام.

(ينتظم الجنود الفرنسيون صفين حول كُريّم بعد أن قيدوه. يصل القائد. يؤدون تحية عسكرية بالسيوف. يتحرك موكب كُريّم خارجًا من المسرح)

(يُضاء على مركز القيادة الفرنسية بالإسكندرية، والجنرال كليبر جالس. يدخل القائد ويؤدى التحية العسكرية)

القائد: (بغناء عسكري)

سارى إسكندرية الكبير..

الجنرال كليبر المدعو كُريّم فى قبضتنا الآن..

وإن أرسلناه.. للبارجة أوريان..

وحده.. ودون الجماهير من حوله..

كليبر: (بابتسامة انتصار ثم بجنان) انشروا خبر القبض فى كل مكان. واختموا على داره وكل أملاكه. وأمروا الأهالى من كل الأجناس أن يسلموا أسلحتهم فى الحال لكومندان الموقع.

(ثم بتهديد) ومن يتأخر عن تنفيذ هذا الطومار لمدة تزيد عن اثنين نهار، فورا يعاقب بالإعدام.

(يشعر بالإرهاق. يسرع إليه جندى بكولونيا يستنشق منها. يسترخي)

وادعوا أعيان الإسكندرية الآن.. أريد معهم الاجتماع، لنختار بدلا من المدعو كُريّم، حاكمًا جديدًا.

(القائد يؤدى التحية العسكرية وينصرف.. تهبط الإضاءة قليلاً على كليبر. وأعيان الإسكندرية يدخلون بخوف، فى حين يضاء سبوت على سكرة وبجوارها بستاني)

سكرة: حد يبل ريقى يا ناس، حد يقوللى أى حاجة عن السيد محمد كُريّم. بستاني، دا صاحبك قوللى الفرنسيس ودوه فين؟

بستاني: حبسوه فى مركب، وعن طرق رشيد بعتوه المحروسة.

سكرة: ليه؟ ليه؟

بستاني: (يشيح)

(إظلام تام على المسرح للحظة، ثم يضاء على مكتب ديبوي، وأمامه كُريّم مقيدًا بالأغلال)

الصوت: (بالفرنسية) الاتهام الأول..

ديبوي: راسلت مراد بك، وغيره من أمراء المماليك، وقمت بتهريب أسرارنا..

(باتهام) أنت جاسوس.

كُريّم: (يشيح غير مهتم) أنا أدافع عن بلدي.

الصوت: (بالفرنسية) اتنين..

ديبوي: قاومت كتيبة الجنرال ديبوي، فى رشيد..
(باتهام) أنت للشغب مثير.
كُريّم: (يشيح بابتسامة ساخرة).
الصوت: (بالفرنسية) ثلاثة..
ديبوي: رفضت جمع السلفة الإجبارية التى قررناها على تاجر الإسكندرية لصالح جيش فرنسا. (ثم باتهام) أنت مخرب.
كُريّم: (تفلت منه ضحكة عصبية) ها..
الصوت: (بالفرنسية) أربعة..
ديبوي: (وقد زادت عصبيته) شجعت الأهالي. على سرقة سلاح فرنساوي، وقتلوا جنودنا.. (باتهام) أنت إرهابي.
كُريّم: فى شرع مين الكلام ده؟ اللى يدافع عن بلده وأصله وناسه ضد جيش الاحتلال يبقى إرهابي؟
الصوت: (بالفرنسية) خمسة..
ديبوي: (فى قمة عصبيته يدهش لعدم اهتمام كُريّم) أتعتقد أنك زعيم الشعب؟ تكلم.. أزعيم أنت؟ إمام أنت؟
كُريّم: (يغنى بقوة)

أنا لست زعيمًا.. أنا لست إمامًا..
أنا بس إنسان.. يؤمن بالله..
ويحب خلق الله..
وبعشق حرية الإنسان.. فى كل مكان..
وزى ما وصلتم بالحرية للعلم..
فأنا عاوز نفس الحق لشعبي..
باحلم يتساوى الناس.. كل الناس..
مهما كان اللون..
مهما كان الجنس..
مهما كان الدين..
مش ده شعار الثورة الفرنسية؟
(ثم بعنف) فلماذا دخلتم بخيولكم للجامع الأزهر؟

لماذا دستم أقدس ما فينا، الدين؟

ديبوي: كنا ندافع عن أنفسنا.

كُريّم: (مقاطعًا) كنتم تستعرضون معنى القوة، معنى القهر، معنى الإذلال، لكننا لا نركع لغير الله.

ديبوي: كُريّم، فكرة المقاومة بتفقدنا أعصابنا، وبنتهور فى بعض اللحظات. فلماذا تقاوم؟ ماذا تريد ونحن الأقوى؟

كُريّم: أكرر.. أنا لا أطلب إلا أبسط الأشياء..

حرية عصفورة على شجرة.. تملك حق الطيران.

(بحدة) فلماذا تريد الصيد؟

أنت لن تقتل عصفورة..

لكن توقظ عش الدبابير..

ومن يدخل مملكة النحل..

فعليه أن يتحمل قدر الموت.

ديبوي: (فى حيرة وضيق)

هذا ليس دفاعًا.. ولكنه احتجاج..

تهمتك خطيرة.. لا بد من الدفاع..

قبل أن أحكم عليك بالموت.. الآن.

كُريّم: لا بد أن يفهم الأعداء أن الموت لم يعد يعنى لى شيئًا على الإطلاق. الموت قضاء الله، وأنا مؤمن.

ديبوي: (فى تعاطف بغيظ) أيضًا هذا ليس بدفاع.

كُريّم: (بإيمان) حين تموت البذرة فى بطن الأرض، ستنبت شجرة بإذن الله.

ديبوي: (يلتفت إليه بدهشة مع الموسيقى) أمجنون أنت؟ تتفلسف فى أقصى اللحظات؟

(يجمع الأوراق) سآخذ أوراقك لبونابارت ليصدر هو القرار.

(يخرج ديبوي. يزداد كُريّم شموخًا. يُطفأ عليه ليُضاء على بونابارت فى القاهرة يطالع الأوراق ثم ينظر إلى القائد. الإضاءة غروب)

نابليون: يعدم رميًا بالرصاص، وتصادر منه الأملاك، ويسمح له أن يفدى نفسه بالمال، إذا دفع ثلاثين ألف ريال فى خلال أربع وعشرين ساعة.. من الآن.

التوقيع.. (يوقع) نابليون بونابارت.. خمسة سبتمبر سنة ١٧٩٨م.

(يُضاء على جزء من الرامب، وسكرة والباعة والسيدة متحلقون.. وعن بعد يقف بستانى ولا يشترك معهم)

سكرة: يفدى نفسه بتلاتين ألف ريال فى أربعة وعشرين ساعة؟

بائع (٢): ومين اللى هايدفعله الفدية؟

بائع (١): ما فيش غير أمرائنا ومماليكنا.. نروح نترجاهم..

ملطي: معقول هايدفعوله بعد اللى عمله معاهم؟ هايرضوا يدفعوله؟

السيدة: خلاص.. نفوت على التجار والأعيان ونلم له النقدية.

سكرة: كلام فارغ أيه ده اللى بتقولوه.. السيد كُريّم غنيّ وماله والحمد لله كتير (ثم بقرار) الفدية هايدفعها من حر ماله، ولا يبقاش فى رقابته جميل لأى حد من الأمرا ولا التجار.

ملطي: هو فاضل قد أيه وتنتهى مهلة الأربعة وعشرين ساعة؟

سكرة: عشرون ساعة. بس مين اللى هايجيبله المال وهو محبوس؟

(يُطفأ عليهم. صمت. تعود الإضاءة لتتركز فى مساحة صغيرة على قضبان يقف خلفها السيد محمد كُريّم وهو مقيد بالحديد. نسمع صوت فتح أبواب ضخة. لا يلتفت كُريّم إلى مصدر الصوت. بعد لحظة نرى القائد يدخل دائرة النور الصغيرة وخلفه حارس القائد يشير للحارس. يتقدم إلى كُريّم. يفك أغلاله)

القائد: أنا هنا من أجل أن آخذ منك صكًا مكتوبًا لأسلمه للذى سيعطينى الثلاثين ألف ريال. (يشير للحارس)

(الحارس يتقدم من كُريّم، ومعه مائدة صغيرة عليها أوراق وقلم [هذا الزمن]. يضعها أمامه)

القائد: اكتب الاسم ولا تنسى العنوان. اجلس.

(يجلس كُريّم شاردًا)

القائد: (يقترب منه فى دهشة خفيفة) ألا تعرف أين تضع مالك؟ أم أنك تملك الكثير وتحتار فيمن توجهنى إليه؟ (ضحكة فاترة) خد وقتك، لكن لا تنسى أنه قد فات من المهلة سبع ساعات، ولم يبق غير سبع عشرة.. سأعود بعد قليل.. هل تأمر بشيء؟

(يخرج القائد وخلفه الحارس. وكُريّم على حاله شارد. يتلفت حوله. ومع تلفته تزحف إضاءة زرقاء باهتة [تشبه الإضاءة القمرية] لتشمل أكبر مساحة ممكنة من المسرح. كُريّم يشعر بالفراغ حين ترتفع القضبان)

كُريّم: باق من المهلة سبع عشرة ساعة.. وبعدها إما الدفع أو.. (يبتسم) فات قد ما فات من سنين العمر، وأول مرة آخد بالى أن الساعة لها قيمة.. مش بس الساعة.. نصها.. ربعها.. دقيقة.

(يشرد على هذه الابتسامة طويلاً. ثم بالتدريج تتغير ملامح وجهه وهيئته الجسدية ليصبح وكأنه مراقب فى امتحان)

المراقب: (كُريّم فى إهاب المراقب الذى بلا قلب)

بتهرب من أيه لأيه يا كُريّم؟ اقعد واكتب العنوان اللى هايخدوا منه الريالات علشان يفرجوا عنك وتخلص. أى دقيقة بدرى أحسنلك.

كُريّم: (يعود إلى شخص كُريّم فى همومه).. عارف.. عارف.

المراقب: ولما أنت عارف بتضيع الوقت ليه؟

كُريّم: (بشخص كُريّم) لأه.. ولا بضيع ولا حاجة. اللى باقى مش قليل يا عمنا.

دول سبعتاشر ساعة.. (ثم فجأة ينتبه لإحساس آخر)

(أطفال يلعبون فى ركن. طفل فيهم يفوز. يسرع الباقون إليه مهنئين)

كُريّم: (فى وجوم) حبكت دلوقتى أنى أفتكر لما كنت عيل!

(يُضاء على شباب يتعاركون. كُريّم يبتسم)

أية قيمة، أية ذكريات دلوقتي؟ دا الوقت اللى لازم آخذ فيه القرار.

صحيح هابقى مكسوف من الناس اللى قعدت أشجعهم على مواجهة الموت، لكن..

(يختفى الأطفال والشباب)

كُريّم: أتارى الكلام عن الموت فى وسط الناس شيء، ومواجهة الموت شيء تاني.

(متقمصًا شخصية المراقب) دا اللى هايحصل. يكتفوا أيديك ورا ضهرك. وممكن يغموا عينيك أولاً على حسب الأحوال، ويترص العساكر الفرنساويين قدامك. يقف القائد بتاعهم وينادي..

(متقمصًا القائد) كله يعمر البنادق. خد وضع الاستعداد.. اضرب.

(يعود إلى شخص كُريّم وكأنه أصيب ويقع) تيخ.. ينتهى كل شيء. لكن يا ترى تيخ دى بتاخد وقت قد أيه لحد ما الروح تطلع للى خلقها؟ دقيقة؟ اتنين؟ (ثم بعذاب) لو أعرف أيه اللى بيحصل؟

(ثم فجأة) وأنا أيه اللى خلانى باحدف ناحية الموت وبس؟ ما أنا هادفع التلاتين ألف ريال وينتهى الموال. طب بافكر فى الموت ليه؟ أيه؟ خايف من الناس اللى عملت قدامهم عنتر؟

(متذكرًا متقمصًا) الموت عمره ما بيحط نهاية للحياة. بص حواليك يا بستانى واتأمل قوانين

الموت الإلهية هاتلاقى إن البذرة لما تموت فى بطن الأرض بتطرح شجرة..
(يبتسم) كلام جميل، ومعناه أجمل (فجأة يصرخ) بس فى الحقيقة بقى الموت يعنى الموت.. عدم.. حد موجود (يفرقع بأصابعه) هيه.. خلاص مابقاش موجود.. وبرضه ما حدش يعرف أيه اللى بيحصل بالظبط.
(يشيح فى غضب) أيوه يا خلق الله.. وأنا هاضيع اللى باقى من السبعتاشر ساعة فى الكلام ده.. خلاص أقعد وأكتب العنوان ورسالة لها وأقوللها أمشى ثلاث خطوات من باب البيت، واحفرى مسافة.. هاتلاقي.. تفضى اللى فى الأولانية هاتلاقى فيها.. خدى منهم التلاتين ألف.. والباقي.. (يثور على نفسه) أيه؟ أنا باتكلم بالألغاز دى كلها ليه؟ خايف أقول إزاى تطلع الفلوس حتى بينى وبين نفسي؟ معقول أنا بخيل للدرجة دي؟ أيه؟ حياتى مش تسوى أكتر من تلاتين ألف ريال؟ أمال مش عاوز أبقى صريح ليه؟
(فى شخص المراقب) كُريِّم، الوقت بيجري. ولو عدت المهلة من غير ما تدفع، عاتعدم.
(بعد تفكير وابتسامة) طب ما أجرب الموت؟
(يثور) هيه دى حاجة فيها هزار؟ دى تخه وينتهى كل شيء.
(ثم فجأة بعمق) ما ينتهي.. ينتهي؟ عمر أى إنسان لازم ينتهي. الحقيقة الوحيدة المؤكدة اللى بتتلزق على قورة العيل مع لحظة ميلاده.. هذا الطفل سيموت. والفرق الوحيد أنه ما حدش بيعرف أمتى. وعلشان ما بنعرفش. ما بنفكرش فى اللحظة، ولا ازاى نواجهها. بنهرب منها.

(صمت ثم كأنه اكتشفها) بس أبويا واجهها..
أيوه.. يوم ما الجابى طلب منه رشوة.. رفض
يدفعها مع أن الجابى هدده بالقتل. أبويا رفض.
ولما رحتله واتحايلت عليه يدفعها علشان يعيش
لنا.. صرخ فيه وقاللى ببساطة..
(يتقمص شخصية الأب) ما دام هاموت هاموت..
يبقى أموت وأنا بكرامتي. أيه يا واد يا كُريّم؟
بقى عاوزنى أدفع رشوة علشان أعيش؟ هاها..
ما حدش يقدر يزود فى عمر حد ثانية. عارف
ليه يا واد؟ لأنه لكل أجل كتاب. وأنا مؤمن، يبقى
عاوزنى أفاصل فى أيه؟
(بقرار) مش هادفع رشوة.
(يجرى على المسرح كله دورة كاملة ليثبت الفكرة
فى رأسه، وحين يصل إلى مقدمة المسرح)..
(بشخصية ويعمق) ولما أبويا اتشجع وما دفعش،
الناس اتلمت حواليه واتكاتروا على الجابي،
وضربوه هوه وعساكره.. وفضلنا سنين ما
حدش من المماليك قدر يطلب رشوة من المينا.
(فجأة) يا حراس.. يا حراس، ابعتولى القائد
بتاعكم. أنا وصلت لقرار.
(ومع دورانه وهو يجرى لاهثًا، تنسحب الإضاءة
بهدوء، لتضاء بتركيز على بائع (٢) وملطى
وبائع (١) والسيدة)
سكرة: (تدق على صدرها بعنف) مش هيدفع؟
إزاي؟
السيدة: يعنى أيه مش هايدفع الفدية؟ معقول السيد محمد كُريّم
بحاله يسيب نفسه يموت فطيس كده؟
سكرة: لأ.. أنا هاروحله. لازم أروحله.
ملطي: (يستوقفها) تروحيله فين؟ دا فى السجن يا سكرة.
سكرة: هاتصرف.

بائع (٢): شهلى بسرعة. الوقت بيجرى وما عدش فاضل غير أربعتاشر ساعة..

(تخرج من دائرة النور فيُطفأ عليها، ليضاء بالتبادل على السجن فى مساحته الأولى والقضبان. ومن العمق نرى سكرة تدفع نقودًا إلى الحارس فيدفعها ناحية كُريّم. وفى أثناء المشهد تتحول الإضاءة من ليل (إضاءة قمرية) إلى فجر، وربما نهار فى نهايته)

سكرة: (بسرعة ولهاث) فلوسك فين مخبيها، وأنا حالاً أسافر وأجيبها، ولو كانت فى آخر بلاد المسلمين.

(كُريّم يشيح عنها. تغاظ. تصرخ فيه) فين الفلوس مخبيها؟

كُريّم: (يلتفت إليها وبابتسامة ثقة) مش هافدى نفسى بالمال يا سكرة..

سكرة: (فى ذهول مع تغيير الموسيقى)

مش هاتفدى نفسك بالمال؟ إزاي؟

وانت غني.. غنى قوي.. قوى قوي..

وفلوسك بالألفات..

(ثم تشهق) أيه؟ سرقوها؟

كُريّم: فلوسى لسه موجودة، وفى الحفظ والصون.

(ثم يلتفت إليها) بس أنا مش هافدى نفسى بالمال.

سكرة: (ثم بعنف دون غناء) إزاى مش هاتفدى نفسك بالمال؟

كُريّم: دى مش فدية يا سكرة.. دى هاتبقى رشوة.

سكرة: رشوة؟ أيش جاب لجاب؟

كُريّم: اتأملى الحكاية كويس.. الفرنساويين حكموا عليّ بالإعدام، لكن إذا دفعتلهم تلاتين ألف ريال هيعفوا عني. يعنى هايوهبونى عمر جديد إذا دفعت. وأنا معقول أدفع رشوة علشان أعيش؟ لا يا سكرة المبدأ غلط.. غلط جدًا.

سكرة: مش وقت مباديء يا سيد كُريّم.

كُريّم: تبقى مافهمتيش المعنى.. ربنا بيوهبنا الحياة مجانًا، يبقى إزاى نتجاسر وندفع تمن لعمرنا كمان على سبيل الرشوة؟ صدقينى إن المبدأ خطير. والمشكلة كلها هيه فى اللحظة اللى هاقف فيها أُدام الرصاص.. إذا كان عندى الإيمان بحقي، يبقى مش هاخاف.

سكرة: أيوه.. بس أنت لازم تعيش علشان تحاربهم وتطردهم.

كُريّم: لو قبلت أدفع خلاص، هاتبقى عينى مكسورة لهم، وأنا ما اعرفش أعيش بعين مكسورة وأنا صاحب حق..
(ثم بهمس) سكرة، لو تقدروا تهربونى اعملوها، ساعتها هايبقى ليه عين أحاربهم. اعمليها يا سكرة.. اعمليها وبسرعة. جدا الحل الوحيد اللى أرضاه.

سكرة: (بعد تفكير) أنا هاتصرف.

(تفكر قليلاً ثم تهم بالحركة.. يفهم كُريّم. يجذبها من يدها بعنف)

كُريّم: سكرة.. حسيت باللى بيدور فى دماغك.. (ثم بحسم) اسمعي، لو فرطتى فى شعرة من راسك علشان تدفعيلى فلوس الفدية، أنا هاجلدك عشرين جلدة، ومش هاقبل منك ولا نص ريال فضة.
(سكرة تنتزع نفسها منه. يتقدم القائد)

القائد: هه.. كتبت العنوان، أم أبلغته لسكرة؟

كُريّم: مش هادفع ريال واحد فى مقابل أنى أعيش. روح بلغ أسيادك أن السيد محمد كُريّم يرفض دفع أى ريال للفرنسي..
(يخرج القائد غاضبًا. يُطفأ على السجن. يضاء على مكان تجمع العامة.. البائع (١) و (٢) وملطي.. تدخل لهم سكرة)

ملطي: هه.. عملت معاه أيه يا سكرة؟ هايدفع؟

سكرة: مش راضى يدفع.

بائع (١): أمال راضى يموت؟

سكرة: بيقول إنها مسألة مبدأ.

ملطي: طب لو احنا لمينا من بعض ودفعناله؟

سكرة: يبقى دا الحل الوحيد.

ملطي: أنا هابدأ.

سكرة: صيغتى أهه.. ودا كل اللى حيلتي.

(تجرى إلى العامة) هه.. مين يدفع؟

بائع (٢): (بسرعة يدور على الناس وفى يده ورقة) تبرعوا لإنقاذ الرجل المؤمن عدو الكفار والجهلة. تبرع يا مؤمن. تبرعى يا مؤمنة.

السيدة: خد. دا حق جهاز بنتي، مش خسارة. السيد كُريّم كَريّم، ولما هيطلع هايعوضنا.

العامة: (فى تسابق) خد.. ودا كل اللى معايا، ودا دهبي.

(العامة يدفعون ما معهم، والبائع يعطيه بتخاذل لسكرة وإرهاق، وقد اكتملت إضاءة النهار على المسرح)

بائع (٢): دا كل اللى جمعناه.

سكرة: (فى ذهول) وكل ده ما يكفيش.

صفر م المبلغ اللعين.

يا رب أيه العمل؟

ملطي: فات من المهلة اتناشر ساعة، وما عدش باقى غير بس نهار.

بائع (١): تعملوا حاجة، أى حاجة. الراجل هايروح منا.

سكرة: (تبرق لها فكرة) بس.. أنا عرفت ازاى هاجيبْ التلاتين ألف ريال قبل ما ينتهى النهار.

(يُطفأ بسرعة على كُريّم. دقات موسيقية مرعبة فى الظلام لثوانٍ. تُضاء بعدها بقعة نور محددة وقوية على سكرة فى ثوب رقص الغوازي، مع

موسيقى فى القوة نفسها وسكرة فى وضع
استعداد للرقص)

سكرة: (تنشد بدون رقي) يا كل رجال الأنس فى الدنيا
من غير تمييز..
سواء كنتوا ترك..
أو حتى فرنسيس..
أنا ليكوا أهه مستنية، وهاوريكم فنون الدنيا.

سكرة: (ثم بعنف) مملوكى تركى يا أبلتى.
(موسيقى ذات إيقاعات تركية قديمة، وسكرة
ترقص بهدف إبراز فتنتها. ولا يظهر أى أثر
لمتعتها مع الرقص. إنها فقط الحرفة. يبدأ الأتراك
والمماليك دخول المسرح، مع اتساع دائرة الضوء
لتشمل شبقهم بها. ثم فجأة تصرخ)

سكرة: (وبعنف من نوع آخر) وحبة فرنساوى من اللى همه
يأخه..

(موسيقى غربية لرقصة [استربتيز] وسكرة بتمكن تخلع أجزاء
من بدلة الرقص، وربما تمزقها بعنف ليظهر تحتها
ملابس أخرى، وهكذا؛ مما يثير الفرنسيين، فيدخل بعض
الجنود الفرنسية دائرة النور التى اتسعت لتشمل المسرح
كله. وسكرة تجرى إلى الناس المتحجرين فى مواقعهم
من الذهول)

سكرة: يا كل رجال الأنس فى الدنيا
من غير تمييز..
سواء كنتوا ترك..
أو حتى فرنسيس..
أنا ليكوا أهه مستنية.. وهاوريكم جنون الدنيا.
(تجرى بطول المسرح كله بعنف راقص مذهل
وهى تقترب من بؤرة المسرح والرجال جميعًا
يقتربون، والإضاءة تحصرهم معها، وهم
يشرعون فى مد أيديهم نحوها)

أصوات: أنا.. أنا.. أنا..

(بعض الأيدى ترتفع فى وضع الرجم)

سكرة: (بإغراء)

اللى غاويين يكرهوني.. يجوا..

اللى شوقهم يرجموني.. ارجموا..

(الإضاءة الآن لا تظهر إلا سكرة فى الوسط وحولها أيادٍ إما ممدودة تطلبها.. وإما تستعد لرجمها. وتجمد الحركة مع صرخة سكرة)

ارجموا..

سكرة: (فى استعطاف مترنح من الإجهاد مع تغيير الموسيقى)

بس ارجموني.. بالمصارى والدهب..

اللى ينفع يبقى فدية للبطل..

(ثم فى بداية شبه لوثة)

بس من غير ما حد يقوله حاجة..

هو رافض أى حد يفتديه.

(تنسحب كل الأيدى من دائرة النور)

سكرة: (فى غناء صارخ)

يا كل رجال الظلم فى الدنيا.. من غير تمييز..

سواء كنتوا ترك..

أو حتى فرنسيس..

أنا ليكوا أهه مستنية..

جاهزة للبيع..

(ثم بصوت مشروخ)

يا كل رجال الظلم فى الدنيا..

أنا ليكوا أهه مستنية..

جاهزة للبيع..

ملطي: هه.. جمعتى كام؟

سكرة: اللى جمعته ما يكفيش أى حاجة من الفدية.

بائع (٢): أيوه يا جدعان، وما فضلش من المهلة غير أربع
ساعات.. بس أربع ساعات.

(يُضاء بالتدريج على كُريّم فى السجن، وسكرة
تدخل إليه بإرهاق. درجة الإضاءة رومانسية
جدًا، ويفضل أن تكون ضوءًا منشوريًا يسقط من
نافذة وهمية)

كُريّم: (حين تقترب منه) ليه بعتى نفسك علشان الفدية؟

سكرة: بس ملقيتش المشتري.

كُريّم: لازم أوفى النذر اللى عليه وأجلدك.

سكرة: استنى هاجيبلك كرباج.

كُريّم: لأ.. هاتى فرع شجرة حنين، أو وردة من البستان.

سكرة: (تعطيه فرع شجرة)

كُريّم: يمد يده من خلال قضبان السجن، وفى يده فرع الشجرة،
ويشكل رمزى يجلدها)

واحد.. اتنين.. تلاتة.. أربعة.. خمسة..

(بيأس) إيدى مش طايله.

سكرة: هات وأنا أجلد نفسى قدامك.

كُريّم: ما اقدرش أبص لعذابك.. ليه بتحبى راجل محكوم عليه
بالموت؟ ضميني.

سكرة: (تحاول أن تضمه) منين القوة هاتجيني؟

كُريّم: حطى راسى على صدرك..

هدهديني..

زى طفل لسه طالع للقدر.

سكرة: (تقترب من القضبان وتمسك بها) هوه.. هوه..

نام حبيبى نام..

وأنا أجيبلك جوزين حمام..

نام يا حبيبى نام.

كُريّم: أمي.. مش عاوز النوم..

أما مشتاق للموت..

مشتاق للراحة الأبدية.

صوت سكرة: (فجأة يُطفأ عليهما)

(صارخة) ما عدش فاضل م المهلة غير ساعة..

بس ساعة يا ناس.

(يُضاء فجأة على أعلى المسرح والرامب من الجانبين لنرى المكان، وقد أحيط تمامًا بجنود الفرنسيين ببنادقهم، يتقدمهم عازفو الطبول.. المارش العسكرى المخصص لكتائب الإعدام فى الحملة الفرنسية، يتحرك نازلاً الرامب، والجنود ينزلون فى نظام. العامة يتزاحمون. يدفعهم الجند، ولكنهم يتزايدون وبستانى يقف فى مقّدمة المسرح بإحساس رهيب بالندم)

سكرة: (صارخة) حرام عليكم.. سيبونا نودعه.

كورس العامة: (صراخ وعنف ومحاولة لاختراق الجنود)

(موسيقى المارشات العسكرية فقط استعدادًا للإعدام، وكُريّم وقد تم وثاقه على عامود خلفه، ووضع على مكان مرتفع فى صدر المسرح على المستوى الأرضي.. والجنود الفرنسيون ظهورهم لكل مقدمة المسرح وقوفًا [«بحيث يحجبون الجزء الأسفل من كُريّم فى البداية»] والعامة يتزاحمون.. القادة الفرنسيون يقفون على السور فى المستوى العلوي. فانتور يدخل، يقترب من كُريّم)

فانتور: أنا فانتور، كبير تراجمة الحملة..

سؤال يحيرنى مع نهاية المهلة..

أنت رجل غني..

فماذا يضيرك لو تفدى نفسك؟

كُريّم: (بثقة وإيمان)

إذا كان مقدرًا لى أن أموت..
فلن يعصمنى من الموت..
أن أدفع هذا المبلغ.
وإذا كان مقدرًا لى أن أعيش..
فلماذا أدفع؟ هذا مبدأ.

فانتور: (بانبهار) أقر وأعترف أنا فانتور..
أننى لو واجهت نفس الموقف فلن توجد أى معجزة تجعلنى أتردد ولو لحظة واحدة فى أن أعيش، فقد انتهى عصر المعجزات. ولكنك.. أنت وحدك.. معجزة.

(تعلو موسيقى الاستعداد للإعدام. يركع الجنود فى وضع استعداد، فيظهر كُريّم كاملاً)

فانتور: أتريد أن تقول شيئًا للناس قبل تنفيذ الحكم؟

كُريّم: (ينظر إلى الناس على الجانبين.. يخفى الناس وجوههم)
الناس ينتظرون منا الكثير فى وقت قليل..

إليكم أقول: علينا أن نجعل هذا البلد المجروح
والمنهوب الثروة من كل الأجناس..
وطنًا. قويًا.. واحدًا.
وتذكروا.. نحن بشر مثل سائر البشر..
لدينا الأبطال، ولدينا اللصوص، وقطاع الطرق
ولدينا العقل..
ونحن على استعداد..
أن ندفع الحياة..
ثمنًا لوجود حر..
والله على ما أقول شهيد.

فانتور: أتريد شيئًا آخر؟

كُريّم: أن أرفع أصبعى بالشهادة.

(يدخل القائد المسرح. يشير بيده للكتيبة مع صيحات الاستعداد للإعدام بالفرنسية)

كُرَيّم: (يرفع كُريّم أصبعه وهو يتمتم بالشهادة)

(يعطى القائد الإشارة. طلقات الرصاص من كل مكان. دخان كثيف يحجب رؤية كُريّم. العامة يثورون فى كل مكان، ويهجمون على القادة الفرنسيين فى الارتفاع. وآخرون يهجمون على الجنود فى أسفل)

كورس العامة: الساعة دى ساعد القدر..

اللى ما منه حذر..

(يُضاء على سكرة.. والإضاءة تخفت على باقى المسرح)

سكرة: (تنشد بحماسة)

سامعين الشعب وهو بيزحف زى الموج..

يتسلق وحده جبال الخوف..

يزحف للفجر..

لخلاص الأرض..

لعمار الكون.

(يُضاء على المسرح، وقد اختفىس منه الفرنسيس مع باقى أغنية النهاية)

ستار النهاية


Bibliotheca Alexandrina
1132751